فريق
متميزون
E-BOOK

مالاكان

حسن الحلبى

تاكسى

مشروع القرن الثقافى

روايات مصرية للجيب

3

فى كل رواية متعة دائمة

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما امكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج اكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين ايديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

سلسلة **تاكسي**

العدد رقم (03)

مالاكان

تأليف: حسن الحلبي

مقدّمة

إن كانت هـذه هى المرة الثالثة لك معى؛ فأنت تعرفنى من لقاءينا السابق حتمًا، وتعـرف أننى (سامر رمضان)، سائق تاكسى حاليًّا، وخبيـر فى الأمور التقنية والإلكترونية سابقًا، وعملت مع المخابرات العامة لمدة عامين بدلاً من السجن؛ لما سببته من دمار بعدد هائل من أجهزة الكمبيوتر حول العالم، ذات مرّة..

إن كانت هذه هى المـرة الثالثة لك معى؛ فأنت تعلم أننى متزوج، وأن اسـم زوجتى (ديالا)، وأن ابنى (كريم) فى الصف الأول الابتدائى، وأن لى جارًا صحفيًّا اسمه (يوسف)، وأننى تعرفت بطريقة غريبة نوعًا ما على رائد الشرطة (منذر خليل)، الذى يريد أن يكون مهمًّا بأى شكل، وعلى (ديمترى) عالِم الفيزياء الكيميائية الذى يعشق (البـوم)، المتثائب طوال الوقت، وعلى (همام خميس) الممرض الذى يقول بيتين من الشعر كل دقيقتين..

إن كانت هـذه هى المرة الثالثة لك معى؛ فأنت تعـلم أننى قدمت استقالتى مـن المخابرات العامة، وتفرغت للعمل كسائق تاكسى، بعد أن أصبت بثلاث رصاصات فى صدرى بسبب أحـد عملياتى القديمـة، وبعـد أن شعرت بالملل الشديد مـن كل تلك الأمـور التى أشـعر أنهـا مناسبة للأفلام أكثر من الواقع؛ فأنا أكره المطاردات والرصاص ورجال العصابات وقضايا القتـل والاغتيـال، وما شابهها مـن أمور لم تعـد تثير حماستى..

إن كانت هذه هى المرة الثالثة لك معى؛ فأنت تعلم أننى نلت إعجاب (ديمترى) و(منذر)، وأنهما أخبرانى أننى - ربما - سأعمل معهما فى أية قضايا لهم، بشرط أن تكون ذات علاقة حقيقية بما أعرف.. سأعمل معهما بصورة غير رسمية بالطبع، فأنا سـعيد بحياتى، والتاكسى يكفى معيشتى وزيادة، ولا أريد أن أضع نفسى فى دائرة الخطر من جديد؛ كما كنتُ قبلاً..

أمَّا إن كانت هذه هى المرة الأولى لك معى؛ فأنصحك بمراجعة السطور آنفة الذكر، أو الكتيبين السابقين!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

١- الكيـان الأسـود..

الظلام الحالك، ولا شىء سواه..

الظلام الحالك، يحيـط بالمدينة، ولا يعـكر صـفوه المعتم إلا قرص البدر المضىء، والذى يطل من بين الغيوم الخفيفة على استحياء..

ليس هُناك صـوت يحيط بتلك المقبـرة القديمة إلا أصوات حشرات الليل، والسيارات التى تمر واحدة منها كل حين..

هدوء شديد، قطعه بغتة صوت ذلك الكيان المتسربل بالسواد الكامل، المغطى بالعتمـة، والذى يمشى ببـطء كمن يحاذر أن يصدر أى صوت..

يتلفت يمينًا ويسارًا، لا أحد هُناك..

لا يعرف أحد من أين جاء، ولا كيف ظهر بغتة؛ لكن شكله كان مناسباً ومكملاً للعتمة والهدوء..

يقترب من باب المقبرة ببطء، لحسن حظه لم يكن مغلقًا رغم أنّ هذه ليست مشكلة كبيرة بالنسبة له.. يدفع الباب الحديدى بهدوء، يصدر الباب صريرًا لكنه لا يهتم.. لا يبدو عليه أن سمع شيئًا أصلاً..

يدخل ويترك الباب مواربًا، يمشى فى بطء نحو قبر بعينه.. شكله فى الليل يبـدو مخيفًا، مـن الجيد أنه لا توجد أى بنايات أو أسواق أو مظاهر للحياة بالقرب من هذه المقبرة.. من الجيد أيضًا أنها شبه معزولة، خصوصًا أن الساعة تجاوزت منتصف الليل بساعتين على الأقلّ..

الهدوء الشديد، وصوت الخطوات البطيئة، وصوت الأنفاس الغريبة تلك.. أنفاس الكيان، الذى تابع المشى بتؤدة وثبات، وكأنما ليس له هـدف فى العـالم الآن إلا الوصول نحـو القبر ذاك..

قبل عصر هذا اليوم تمّ دفن شاب قضى نحبه بالأمس، لم يكن يشكو من شىء كما أنه كان يمارس التدريبات الرياضية ثلاث مرات فى الأسبوع.. هـذا ما جعل الكل يستغرب موته؛ لكن لا استغراب مع الموت، دومًا يزور الأشخاص الذين لا يتوقعون زيارته، وكأنه يعانى طرازًا خاصًا من العناد!

يقترب الكيان من قبر هذا الشاب، يقترب أكثر، وأنفاسه تعلو وتعلو، وكأنما هو مقبل على غنيمة..

يتوقف أمام القبر وينظر حوله مرة أخرى، هناك بعض الخفافيش فى السماء، لا غير..

يجثو على ركبتيه، تتسخ العباءة السوداء التى تغطيه من رأسه وحتى قدميه، لا يهتمّ.. تظهر يداه بغتة..

يدان ازدحمت العروق فى كلّ منهما، وبدا واضحًا أنهما يدا عجوز.. عجوز كبير العمر جدًّا، فهُناك عشرات التجاعيد التى جعلت من كل يد شبه خريطة!

وهُناك المخالب أيضًا.. طويلة ومعقوفة وتشبه منقار الصقر، وقد امتد المخلب بارزًا مـن كل يد نحـو الإمام بمقـدار عـدة سنتيمترات قليلة..

كان المشهد غريبًا وغير مألوف، لم يره أحد فى الجوار وإلا كان نصيبه الذعر والهلع الشديدين..

فجأة دبّت قوة غريبة فى جسـد الكيـان، وبدأ يحفر القبـر بسرعة عجيبة، ويزيح التراب والرمال والصخور يمينًا ويسارًا، محدثًا مقدارًا لا بأس به من الضجيج..

مرّ بعض الوقت، والكيان مستمر فيما يفعل دون توقف، ودون تعب، ودون أى شعور بالإرهاق.. قبل أن يظهر فى الأسفل الكفن الأبيض، الذى يلف جثة الشاب جيدًا، والذى اتسخ قليلاً بسبب الرمال التى أصابته ولمسته..

يتوقف الكيـان عن الحفـر، يسحب الكفـن بغتة من القبر بذراعيـه القويتين.. حقًّا هما قويتان جـدًّا إذ إنه سـحبه من الأسفل وألقى به إلى الخارج..

نهض، واقترب من الكفن، وشيئًا فشيئًا بدأ يفك القماش، ويمارس شيئًا غريبًا مخيفًا فى صاحب الجسد، عندما باغته ذلك الصوت من خلفه، يقول بنبرة مذعورة:

- ماذا تفعل هُنا؟!

التفت الكيان إلى الخلف، فوجد حارس المقبرة، الذى لا يعرف أحد كيف استيقظ فى هذا الوقت، وما الذى جذبه إلى هذه النقطة بالذات، من المقبرة الكبيرة؛ وقد وقف بعيدًا عنه بعدة أمتار، حاملاً عصا غليظة فى يده اليمنى..

ربما جذبه صوت الكيان وهو يحفر!

يحاول الحارس أن يلتقط شيئًا من شخصية الكيان الذى أمامه، شيئًا من ملامحه، أى تفاصيل تساعده على التعرف إليه وإلى كنهه بالضبط، دون جدوى.. هُو مجرد كيان ضخم الجثة، مغطى بعباءة سوداء تخفى كلّ تفاصيله وملامحه..

ـ.. من أنت؟! وماذا تفعل هُنا فى هذا الوقت المتأخر؟!

لم يجبه الكيان، بل بقى واقفًا فى ثبات..

يقترب الحارس أكثر، ويحاول النظر إلى الجثة التى أخرجها الكيان مـن كفنها، لمعرفة ما الذى حـل بها بالضبط، متوقعًا أنها مجـرد سرقة لعضـو، أو خطف لجـزء ما، كما يفعل بعض طـلاب كليـة الطب المجانين أحيانًا، لكن ما رآه لم يكن كما توقع على الإطلاق، وكما لم يكن يتخيل أن يراه أمامه فى حياته..

ارتجف جسده كله، تراجع إلى الخلف عدة أمتار وهو ينظر نحو الكيان نظرة ملؤها الرعب والخوف والذعر والفزع، مستعيذًا بالله الرحمن الرحيم وذاكرًا اسـمه عـدة مرات، قبل أن يرمى العصا من يده، ويفـرّ هاربًا بأقصى ما يستطيع من سرعة..

وعندما جاءت الشرطة بعد ساعة مستعينة بما تيسر لها من أوصاف وكلام من الحارس، كانت الجثة على الأرض كما رآها، ولم يكن لذلك الكيان أدنى أثر..

.. كان قد اختفى تمامًا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بالنسبة لى فلم أعرف شيئًا من هذا، إذ كنتُ غارقًا فى نوم عميق وقتها..

كان اليوم التالى عندى مهمًا للغاية..

ما زلتُ كما أنا، سائقاً للتاكسى لأننى أحب هذا، ولأنّ هذا مصدر رزقى الأول والأخير، ولأنه يمدنى بالكثير من الخبرات، ولأنه أفضل غطاء لى، فيما لو ظهر بغتة عمل غريب أو عجيب كما اعتدت من (منذر) أو (ديمترى)!

(منذر خليل)، الرائد فى جهاز الشرطة والذى يحب أن يبدو مهمًا دومًا، و(ديمترى) الغريب، عاشق البوم، المتثائب بمناسبة أو غير مناسبة!

لم أرهما منذ عشرين يومًا، وأعتقد أن هذه الفترة طويلة جدًّا بالنسبة لى.. أعتقد أن ما عشته معهما، وما اكتشفته عن نفسى ونحن معًا؛ يفوق كل ما كنت أظننى أعرفه عنى طوال حياتى..

فى الأمر لغز كبير بحق؛ وسأعرفه فى يوم ما.. لا بدّ من هذا، وإن كنت أجهل متى بالضبط..

ما حدث فى المرتين السابقتين جعل رصيدى يرتفع من جديد فى دائرة المخـابرات العامة، وجعلهم ينتبهوا إلى أننى كنت مخطئاً جدًّا عنـدما تركت

العمـل معهـم وانصرفت إلى سيارتى الصفراء الحبيبة، وأنهم كانوا مخطئين - كذلك - حين وافقوا على هذا..

منذ انتهاء المغامرة السابقة، ووصولنا إلى النفق، وخروجنا منه دون أن أتورط بأى كلمة أو تصرف قد تؤدى إلى حدوث شىء لا يحمد عقباه، وهم يدرسون - هُناك - فى دائرة المخابرات العامة، طلب (منذر) و(ديمترى) بأن يكون هُناك دائرة للمخابرات العلمية..

تم عرض الأمر على المسئولين الكبار، وعلى قائد الجيش ووزير الدفاع ومدير المخابرات العامة، وبعد يومين بالضبط صدرت الموافقة، وكان لا بد من العمل على توفير طابق كامل فى دائرة المخابرات العامة من أجل هذا القسم، التى تم إصدار قرار أنها ستكون مجرد قسم صغير فى البداية، لا يوجد به أكثر من ثمانية موظفين، مع وعد كبير بأنه سيتم افتتاح مبنى كامل للمخابرات العلمية خلال ستة أشهر على الأكثر..

قسم للمخابرات العلمية؛ هذا أكثر مما كان يتخيله (منذر) و(ديمترى).. هـذا سيوفر لهم الكثير جـدًّا من الأمور والمساعدات، خصـوصًا فى القضايا الطـارئة.. لـن يتعلق الأمـر فقـط بالجثة التى تسـاعدنا كثـيرًا دون أن تعـلم؛ (فابيو سكاشيتشى)، عضو عصابات مافيا الدماغ كما أخبرونى فى أوّل مرة رأيته فيها.. والتى لم أسمع فيها بهذا الاسم الغريب سوى منهما فحسب!

كان الطلب الأول من قِبل رئيس المخابرات العامة أن يتولّى أحد صاحبى الاقتراح - (منذر) أو (ديمترى) - رئاسة هذا القسم الجديد، فهما الأولى بهذا المنصب.. لكنهما اعتذرا بلباقة شديدة، وبرّر (منذر) الرفض بأنه رائد فى الشرطة وليس له علاقة بالمخابرات، كما أنه ضد العمل المكتبى بشدة، بينما قال (ديمترى) أنه حتى لو كان صاحب الفكرة فهو ليس أهلاً لقيادة فريق، ولا للعمل وراء شاشة حاسوب، ولا للبقاء خلف جدران بعيدة عن عالمه.. هُو يعمل كما يجب وأكثر فى شقته، ذلك المكان المزدحم بالغرائب والعجائب، والتى لم أر أحدًا فى حياتى يسكن فى مكان كهذا..

شقة (ديمترى) يجب أن تكـون فى موسوعة (جينيس) للأرقام القياسية؛ فهى أكثر الشقق غرابة فى العالم!

وافق مدير المخابرات العامة، ووعد بأنه سيقوم ببذل ما فى وسعه من أجل أن يكون القسم الجديد واحدًا من أفضل الأقسام وأكثرها نشاطاً، كما قال إنه سيضع فيه نخبة من المتميزين فى الأمور العلمية والتقنيـة والتكنولوجية الحديثة، بالضـبط كما أوصى (ديمترى)..

المهم أنّنى استيقظت بعد نوم عميق، وأيقظت (ديالا) بعد قبلة سريعة، وأخبرتها أن تعد لى طعام الفطور، إذ لا بد لى أن أنطلق إلى العمل..

نهضتُ ودخلت غرفتى الخاصـة، مكتبى، الـذى سبق وأن أخبرتكم عن أنه أكثر من عالم خاص بالنسبة لى.. هُنا أجد حريتى وهوائى، الذى لا أشعر به فى أى مكان آخر..

جلست قليلاً على جهاز الحاسوب الخاص بى، تصفحت بعض المواقع الإلكترونية الخاصة بى، تصفحت مدونتى الخاصة والتى أضع فيها كل حين وحين شيئًا مما يخطر فى بالى، حول نفسى، أو عن حالة أمر بها، أو عن أمر سياسى أو دولى ما، أثّر بى بطريقة جعلتنى أكتب دون تفكير بنوعية الشىء الذى أكتبه..

هل يطلقون على هذا النوع (خواطر)؟! نعم.. أعرف أنه غير مُعترف به أدبيًا ولا نقديًا، ولكن من قال إننى أريد أن أنشره فى كتاب أو فى مجلة؟!

هـو لى فحسب.. وليـره من يره، وليتجاهله من يريد.. هذه المدونة ليست أكثر من مساحة أخرى للفضفضة عما فى داخلى..

مرت نصف ساعة قبل أن تنادينى (ديالا)، نهضت واتجهت إلى المطبخ، جلست معها ومع (كريم) الذى ارتدى ملابس المدرسة، وجلس على مقعده الصغير بجانبنا..

تناولنا الفطور، ودّعنا (ديالا)، وخرجنا أنا وهو معًا.. أوصلته إلى مدرسته القريبة ثم اتجهت إلى الشارع.. عملى فى الشارع، أى شارع، المهم أن يكون فيه زبائن!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ومرّت عدة ساعات وأنا أتنقل من حى إلى حى، مستمتعًا بالاستماع إلى قصص كثيرة من الناس، وشكاوى كثيرة من المتزوجين بالذات، قبل أن يباغتنى رقم غريب باتصال..

- آلـو..

قلتها، فأتانى صوت (يوسف):

- تحياتى لك يا (سامر).. كيف أنت؟

- أهلاً أهلاً بالصحفى النشيط، والجميل دومًا (يوسف).. أنا بخير والحمد لله، ومشتاق لك، كيف أنت يا صديقى؟!

أجابنى وتكلّمنا قليـلاً مع بعضنا.. (يوسف) هو جارى، وهو صحفى نشيط يحب عمله، كما أنه كان بطلاً سابقًا للمملكة فى الجمباز، قليلون من يعرفون هذا..

كانت هناك بعض المجاملات السخيفة المعتادة التى لا بدّ منها، قبل أن يقول لى فى لهفة:

- ستحضر اليوم، أليس كذلك؟!

أقول باستغراب:

- أحضر؟! إلى أين بالضبط؟!

ضحك، وقال:

- إلى افتتاح قسـم المخابرات العلميـة الجديد، فى دائرة المخابرات العامة!

استغربت جدًّا..

كنت متخيلاً أن هذا الخبر سيكون سريًّا، وأن هناك تعتيمًا إعلاميًّا سيمارس عليه؛ لكنّنى كنتُ مخطئًا..

أجبته وما زلت مندهشًا:

- نعم، سأحضر بإذن الله، أنا مستغرب كيف عرفت بالأمر، من أخبرك..

- هُم! اتصـلوا بى من قسم المخابرات الجديد، وأخبرونى أن آتى لأحضر الاحتفال الصغير الذى سيقام اليوم فى الدائرة.. لم يريدوا أن يجعلـوا الأمـر سريًّا لئلا تشـك واحـدة مـن الدول العظمى بالأمر، وبأن هناك نشاطًا مشبوهًا سيحصل، ولـذا أرادوا أن يكـون الأمـر علنيًا وصريحًا جـدًّا، بما أنه لن تكون هناك أى أهداف لهـذا القسـم سـوى البحث العلمى فحسب..

ابتسمت وقلتُ فى داخلى:

- هذا ما تم إخبارك به فحسب، يا حلو!

أنهيت المكالمة معه بعدها، ولم تمر دقائق معدودة حتى اتصل بى رقم آخر أعرفه.. كان رقم (منذر)!

- عزيزى (منذر)!

قلتها فأتانى صوته الجميل:

- عزيزى (سامر)..

قالها، وأردف قبل أن أقول أى شىء:

ـ.. هل أنت جاهز للحفلة الصغيرة اليوم؟!

أقـول:

- الحقيقة أننى لست جاهزًا تمامًا، أشعر بقلق لا أدرى سببه الحقيقى يا (منذر)..

يقول (منذر)، محاولاً طمأنتى:

- لا، لا تقلق يا (سامر).. كل ما فى الأمر أننا اليوم سنتعرف على موظفى القسم الجديد، وسنتعرف أقسامه، والأهمّ من هذا كله، سنجلس اليوم معًا - لأول مرة - مع رئيس المخابرات العامة، والذى كان مشرفًا علينا فى المهمتين السابقتين كما تذكر..

أخذت نفسًا عميقًا وقلت:

- لا بأس.. لا بأس..

- سننتظرك فى الموعد، حسنًا؟!

- حسنًا.. سأمر على البيت أولاً لتناول طعام الغداء، وبعدها سآتيك أنت و(ديمترى).. سنخرج معًا، بسيارتى..

يقول:

- ليست هناك مشكلة، المهم أن تكون أنت على ما يرام..

- أنا على ما يرام..

قلتها بهدوء، يخفى عاصفة متناقضة من المشاعر داخلى.. عاصفة لا أدرى سببها؛ لكنها توترنى!

أستعيذ بالله مـن الشيطان الرجيم.. اليوم مهم ولا بد لى من التخلص من هذه الوساوس..

مر بعض الوقت، المزيد من الزبائن، المزيد من الثرثرة، المزيد من التوتر، قبل أن أمر على البيت..

هُناك رائحة كريهة!

هذا أول ما انتبهت إليه، وأول ما أزعجنى حين دخلت وجلست فى غرفة الجلوس، مما جعلنى أنادى (ديالا) بعد هنيهة، لتأتى وقد ملأ العرق وجهها:

- نعم..

أستفسر منها، وقد ظهرت ملامح الاشمئزاز على وجهى:

- ما هذه الرائحة؟!

تهزّ كتفيها علامة على عدم معرفتها، وتقول:

- لا أدرى.. شممتها منذ الصباح ولم أعرف سببها، هى ليست من عندنا إن كنت تشك بهذا!

أقول:

- متأكدة؟!

تقول فى تهالك وهى تجلس:

- طبعًا، متأكدة جدًّا..

أتوجه نحو المطبخ، وأقول:

- تعالى وضعى لى بعض الطعام، لا بدّ من الخروج سريعًا لحضور الافتتاح..

لم تعلق بكلمة، واندفعت خلفى، بينما كان كل تفكيرى يدور حول نقطة واحدة..

هُناك شىء ما سيحدث..

.. لا شكّ فى هذا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٢- المخابرات العلمية..

بعكس ما توقّعت؛ كان العدد كبيرًا..

الاجتماع، أو هـذا الحفـل الصغير، أو الافتتاح - سمّه ما شئت فلا تهمّنى الأسماء - كان فى قاعة الاجتماعات الكبيرة، فى دائرة المخابرات العامة، والتى - لأجل الحفلة - قاموا بإجراء بعض التعديلات فيها وعليها..

كان هناك الكثيـر من ضـباط الجيش، والشرطة، والقوات الخاصة، والمخابرات العامة.. رتب كثيرة، ونجوم، وقلادات، وأوسمة، وبعض الصحفيين، بالذات (يوسف) الذى كان متحمسًا أكثر من اللازم، لكنه محبط أيضًا؛ حيث منعوه من التقاط أى صورة، بل وأملوا عليه الخبر الذى سينشره، لأنّ أى تفاصيل أخرى زائدة عن المطلوب لن تكون مفيدة لأحد!

كان هناك الكثير من الحلوى، والمشروبات الغازية، والعصائر الطبيعية، وكنت أنا هُناك طبعًا، مع (ديمترى) الذى أحضر بومته معه، و(منذر) الذى ارتدى أفخر بذلة رسمية لديه.. كان شكله جديدًا على، لكننى سخرت منه، ومن ربطة عنقه التى لا تتفق ألوانها مع بذلته!

قبل قليل ألقى رئيس المخابرات العامة كلمة لطيفة، أشاد فيها بدور (ديمترى) بتكوين القسم الجديد، وعرّف الجميع على رئيس القسم، ومساعده، دون أن يذكرنى أو يذكر (منذر).. ففعليًا نحن لسنا أكثر من متعاونين، أنا بصورة غير رسمية مهما كان لى دور بما جـرى وسيجرى، و(منذر) بصـورة رسمية، ولكن من دائرة أخرى..

(ديمترى) معه صلاحية تتيح له طلب أو استعمال أى شىء فى القسم الجديد، كما أنّ (منذر) مخوّل - أيضًا باستعمال وطلب أى قوات تابعة لجهاز الشرطة والجيش، حسب اتفاقية مبرمة بين الجهات الأمنية الثلاثة؛ الشرطة والجيش والمخابرات العامة..

يقول (ديمترى) وهو يحتسى قليلاً من كأسه الممتلئة بعصير الفراولة، متأملاً الجميع بعينين تبرقان:

- أنا سعيد للغاية..

يقول (منذر) وهو يضع قطعة حلوى فى فمه:

- كرانش! ليس من الضرورى أن تقول هذا لأحد، ملامحك تصرخ بانفعالك هذا منذ أن وصلنا..

أتساءل وأنا أشرب من كأس النيسكافيه الساخن الذى يسترخى بين أصابعى:

- هل ذهبتما إليه؟!

- ما هو؟!

يسألنى (منذر) فى غباء، فأجيبه:

- القسم الجديد طبعًا!

يسارع (ديمترى) للإجابة، بعد أن تثاءب:

- نعم، منذ ساعتين تقريبًا.. ذهبت أنا و(منذر) ورأيناه، وتعرفنا على من فيه.. إنه جميل جدًّا، وفيه كل ما نحتاج وأكثر، وخصوصًا القسم التقنى الذى ستكون مشرفًا عليه..

القسم التقنى؟!

سأكون مشرفاً عليه؟!

- عن ماذا تتحدث؟!

أسأله فى دهشة شديدة، ينظر لى فى دهشة مماثلة ويجيب سؤالى بسؤال:

- هل تعرف عن هذا؟!

- لا!

- ستكون أنت مشرف القسم التقنى فى قسم المخابرات العلمية الجديد!

أبتسم:

- لا شكّ أنك تسخر..

يهز رأسه نفياً، ويقول فى جدية:

- لا.. لا أسخر، ربما يخبرونك بهذا اليوم..

أخذ الوقت يمضى بعدها ونحن نتحدث، ولم ننتبه أن (منذر) ليس معنا منـذ أكثر من عشر دقائق؛ إلا عندما عـاد وبرفقته مدير المخابرات العامة..

كان رجلاً مهيبًا بحق، طويل القامة ممتلئ البدن، يرتدى بذلة رسمية أنيقة للغاية، وكان يضع سيجارة طويلة رفيعة فى فمه.. عيناه زرقاوان وشعره أسود.. كان يبدو أقرب إلى نجم سينمائى وليس كمدير مخابرات..

- العميد (مراد أحمد)..

قالها ومد يده إلى الأمام، صافحته فى رهبة، وعرفته على نفسى، وتحدثنا بعدها قليلاً حول المهمتين الماضيتين، وسألنى عدة أسئلة عن (الياب)، وعن ذلك المسافر الزمنى الذى كان ينتظر لقائى فقط كى أقول كلمتين بصوتى..

رباه! هل فعلاً حدثت هذه الأشياء معى؟!

يقول لى، بصوت فخم يتناسب جدًّا مع هيئته:

- ستكون مشرف القسم التقنى هُنا، فى القسم الجديد، وحتى لو كان هذا عن بُعد.. خبراؤنا الذين سيكونون تحت أمرتك جيدون جدًّا ولكنك تفوقهم بالسن والخبرة، لقد مررت بالكثير حسبما عرفت وقرأت فى ملفك..

أبتسم، وألوح بيدى اليمنى فى لا مبالاة محاولاً أن أقول فى تواضع، وحرج:

- هذا ليس أكثر من حظ فى هذه الحياة فقط، أنت تعرف كم هى غريبة الحياة.. غريبة جدًّا، جدًّا..

يبتسم، ويدير وجهه، ألمح طرف ابتسامة على وجه (منذر) أفهم منها أن ردى كان طفوليًّا فلسفيًّا جدًّا!

يقول لى وهو ينظر إلى عينى مباشرة:

- (سامر)، أنت رجل مهم بالنسبة لنا، ونريد منك أن يتطور هذا القسم.. كُن واثقًا أننا سنكون معك كما تريد وأكثر، ولن نبخل عليك بأى شىء..

يهمّ بالابتعاد، قبل أن يردف:

ـ.. آه تذكرت، غدًا ستجد سيارة تاكسى جديدة أمام باب منزلك، سيحضرها لك أحد عملاء المخابرات العلمية الجدد..

يقولها ويبتعد نحو مجموعة من قادة الجيش، دون أن يترك لى أى فرصة للحديث أو التمنع أو الرفض..

يصفق (ديمترى) فى بطء،، ويقول (منذر):

- أرأيت؟! لم يكن الأمر مقلقًا أبدًا.. لقد منحك الرجل سيارة جديدة، وعيّنك مشرفًا على القسم التقنى عن بعد، تمامًا مثل (ديمترى).. أى راحة تريدها أكثر من هذا؟!

أقول محتجًا، وقد أحسست بثقل يسقط على ظهرى:

- وهل تسمى هـذا راحة؟! الرجل - فقـط - زاد من مسئولياتى وواجباتى.. هذا بعيد جدًّا عن الراحة، إلاّ لو كنت تعنى فيها شيئًا آخر لا أعرفه!

فى هـذه اللحظة مرت سـيدة أمامنا، جميلة بشعر أسـود وعينين سـوداوين كالفحـم، تقتـرب منا وتسلم علينـا، تقول لى:

- سمعتُ عنك الكثير يا سيد (سامر)..

أقول بحرج:

- أرجو أن يكون ما سمعته خيرًا..

تقول:

- كل الخير، أنت رجل رائع، وزوجتك محظوظة بك!

يندفع الدم فى وجهى إثر قولها هذا، ليس بسبب الخجل طبعًا بل بسبب الحرج من وقاحتها.. هى سيدة جميلة، وتقول هذا لى بكل بساطة أمام رجلين آخرين، عارفة أننى متزوج!

لم أجبها بغير كلمة واحدة لا تعنى شيئًا:

- أشكرك..

ابتسـمت ولوحـت بأصـابعها وابتعـدت، نظـرت إلى (ديمترى) الذى تثاءب ونظـر لى بخبث، وهمست باستنكار كبيـر:

- هل كانت تغازلنى؟!

يستفزاننى بعدم الإجابة، بل بالانفجار فى الضحك.. أضحك بدورى، ويقول (منذر) من بين ضحكاته:

- يبدو أنّك سائق تاكسى مؤدب فعلاً، قليلون من يخجلون عندما تقول لهم سيدة هذه الكلمة!

هممت بالإجابة لولا أن رن هاتفى، اعتذرت منهما لأجيب الاتصال، ووضعت كأس العصير الذى معى على طاولة قريبة، وابتعدت جانباً عن الأصوات والضجيج:

- آلـو..

كانت هذه (ديالا):

- أين أنت يا (سامر)؟!

أقول فى قلق كمن يتوقع سماع مصيبة:

- لا زلت فى الاحتفال يا حبيبتى، هل هناك شىء؟!

تقول:

- نعم، هناك تلك الرائحة.. الرائحة الغريبة تلك..

بعد كلامى مع العميد، وكلامى مع السيدة الوقحة قبل قليل، كنت نسيت كلّ شىء عن الرائحة إياها!

- أى رائحة يا حبيبتى؟!

تجيبنى:

- الرائحة التى أزعجتك اليوم قبل تناول الغداء.. إنها تزداد باطّراد، ويبدو أننى ميزت ماهيتها، أخيرًا..

أسأل ببساطة:

- مثل ماذا هذه الرائحة؟!

تجيبنى ببساطة مماثلة:

- تبدو كرائحة الجثث!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٣- رائحة جثث يا (سامر)!

أهتف، وأنا أعتصر الهاتف بيدى:

- ماذا؟!

تقول فى توتّر:

- رائحة جثث يا (سامر).. إنها فى كل المبنى، وأكاد أقسم أنها قادمة من بيت جارتنا (سو)..

أقول باختصار:

- حسنًا، سأرى الأمر فور انتهائى من الحفل.. وداعًا، إلى اللقاء..

وأنهيت الاتّصال..

تعرفون أن لى جارة رومانيّة أرملة اسمها (سو)، وعندها كلب اسمه (سا)، والذى مات زوجها (سى دنتيسيوس) قبل ثلاث سنوات تقريبًا بعد أن قتله بعض الرعاع!

غريب.. انتبهت الآن فقط أننى لم أرها منذ ثلاثة أيام.. ثلاثة أيام بالضبط!

أحيانًا تكون هناك أشياء أمام أعيننا تمامًا، لكننا لا نراها.. لسنا بحاجة وقتها إلاّ إلى محفّز، رائحة ما، كلمة ما، مشهد ما؛ يجعلنا نرى هذه الأشياء الخفية كما هى، بكل وضوح!

ترى هل ماتت؟!

هل ماتت فى شقتها، وهذه الرائحة تأتى من جثتها؟!

لا أحد يزور (سو).. حقًّا، منذ عدة سنوات لم أشاهد أحدًا يدخل أو يخرج من شقتها سواها هى وكلبها الضخم اللطيف، والذى لا ينبح مطلقاً..

من ينفق عليها؟! كيف تعيش وتأكل؟! هذه أسئلة لم أسألها لنفسى من قبل.. هى فى نظرى حية وكفى، لم تطلب معونة أو مساعدة من أحد يومًا..

ترى هل ماتت (سو) فعلاً؟!

أبتسم وأسخر من نفسى.. كفّ عن الجنون يا (سامر) فهذا ليس وقته.. أبدًا ليس وقته يا عزيزى الوغد!

أعود نحو (منذر) و(ديمترى)، نتحدث قليلاً، نتعرف على الموظفين الجدد فى القسم الجديد.. يبدون لطفاء حقًّا.. تعرفنا بعدها على العميد (قاسم داود)، مدير قسم المخابرات العلمية الجديد..

عميد وعميد، (مراد) و(قاسم)؛ يعلم الله وحده سر تركيزهم على هاتين الرتبتين، أو أنها صدفة لا أكثر!

يرن هاتفى فجأة..

يقول (منذر) فى ضيق:

- لا تردّ على هذا الاتّصال، لم نتكلم فى موضوع مفيد منذ أن وصلنا هنا!

أقول مخرجًا هاتفى:

- إلاّ هذا، لا تدرى ما الذى يمكن أن يحمله الاتّصال!

وأرفعه نحو أذنى، قائلاً:

ـ.. آلـو!

يأتينى صوت لم أسمعه منذ المغامرة السابقة:

- مبارك عليك المنصب الجديد يا سيّد (سامر)..

أهتف:

- الممرض الشاعر!

أقولها وأنفجر ضحكًا دون سبب منطقى.. (همام خميس) الممرض الشاعر، الـذى يتصـل بى ليبارك لى استلامى هـذا المنصب، لكن؛ كيف عرف؟!

لم يترك لى مجالاً لأسأله، إذ سارع ليقول:

- أخبرنى (منذر) بهذا الأمر اليوم، ودعانى للحضور لولا أننى لا أحبّ هذه الأجواء الرسمية الأمنية، أفضل النوم تحت عجلات حافلة نقل عام ضخمة على هذه الأجواء!

ما شاء الله يا (منذر)!

تدعو صديقاً لك كى يحضر إلى افتتاح القسم الجديد للمخابرات العلمية، وكأنك تدعوه لاحتساء فنجان قهوة معك فى بيتك الخاص؟!

مـن الجيد أنك لم تحضر يا (همام)، وإلاّ نـال (منذر) التقريع الذى يستحقه!

تبًّا لك يا (منذر).. تبًّا لك!

يبتسم (ديمترى) و(منذر)، وأقول:

- إذًا فقد أخبرك بكل شىء؟!

يقول بطريقة جعلتنى أبتسم:

- نعم، كل شىء..

أقول فى فخر:

- ليس كل شىء فى الحقيقة، فهناك سيارة تاكسى جديدة منذ الغد، هدية لى من المخابرات العامة..

يضحك، وقد ظهر على صوته أن الخبر أعجبه:

- مع أننى أصبحتُ أكره هذه الكلمة لأنه يرتبط بشدّة مع اسم أحد المخلوعين؛ إلا أننى سأقولها لك مرّتين: مبارك يا صديقى الجميل، مبارك..

وغيّر لهجته فجأة، قبل أن يستطرد فى جديّة:

ـ.. على كلّ حال، لم أتّصل بك لأبارك لك ولهما فحسب، ولكنّ هناك قضية، أشعر أنكما المسئولان عنها، خصوصًا مع افتتاح القسم الجديد!

أعقد حاجبى، وأعطى إشارة إلى (منذر) و(ديمترى) بألا يبتعدا أو ينشغلا مع أحد، وأبتعد قليلاً لأسمعه كما يجب، وأقول له مستفسرًا:

- أى قضيّة هذه يا (همّام)؟!

يزدرد لعابه، أسمع صوته يعبث بأوراق أمامه، أو بملف فيه عدة أوراق بين يديه، ويجيب:

- هُناك حالة جاءت إلى المستشفى قبل عدة أيام، الحقيقة أنها حالة غريبة وشاذة جدًّا، وهى المرة الأولى التى تحصل هنا، أو فى أى مكان آخر..

وسكت قليلاً، وأردف:

- كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة فجرًا، وكنت فى الوردية الليلية، وأحضروا لنا شابًّا ممزقًا..

- وأين الغريب فى هذا؟! إنها مجرد جريمة قتل عادية كما أرى يا (همام)!

أقاطعه، فيسكت ويسمعنى، ثم يقول فى عتاب:

- لكنّنى لم أقل إلا اليسير يا (سامر)..

أقول معتذرًا:

- أنا آسف؛ حسنًا، أكمل..

يتنهد ويكمل:

- الشاب كان ميتًا قبل أن يحضروه لنا بيوم، كما أنه كان مدفونًا فى قبره وملفوفًا فى كفنه، لكنّ أحدهم جاء ليلاً ومزقه، وأحضروا لنا الجثة بعدها بساعتين..

بدأ الموضوع يثير فضولى.. أسأله:

- غريب! هل هناك شهود؟!

يبدو أنه كان يتوقع السؤال، إذ أجاب على الفور:

- هُناك الحارس الذى ما زال مذعورًا حتى هذه اللحظة، قال إن هناك شخصًا أو شيئًا أثار فضوله فى الظلام، وخاصة عندما أصدر صوتًا عند أحد القبور بالذات، وإنه حاول أن يتعرف على شىء من تفاصيله دون جدوى.. كان ذلك الشخص يرتدى السواد، بصورة كافية لجعل ملامحه غير مرئية فى العتمة..

أسأل:

- وما الذى رآه بالضبط؟!

يجيب:

- رآى القبر مفتوحًا، والرمال كلها ملقاة خارجه، دون أن تكون هناك أى أدوات قريبة.. لم يكن هناك سوى الشخص المتشح كاملاً بالسواد، والجثة التى أخرجها هذا الشخص من كفنها، وأخذ يمزقها..

سكتّ قليلاً وأخذت أفكر، سألنى:

- هل ما زلت معى، (سامر)؟!

أجيبه:

- نعم.. نعم، قل لى: هل هذا كلّ شىء؟!

يقول فى سرعة:

- كلاّ طبعًا، هُناك جثث أخرى!

أقول بدهشة عارمة:

- ماذا تقول؟!

يجيبنى، وقـد أعجبه استيلاؤه على اهتمامى كله مجددًا:

- أحضروا لنـا جثتين جديدتين، أول أمس، وأمس.. المشكلة أنّ كلّ جثة مشابهة للأخرى فى التمزق، نفس الأماكن، وذات الأسلوب..

هممت أن أسأله شيئًا، لكنّه بادرنى بالإجابة بذكاء عما كنت أفكر فيه:

ـ.. واطمئنّ؛ لا يوجد أى رابط بين الجثث!

ذكى يا (همّام)، لقد توقع أن يكون هناك رابط ما بين هذه الجثث، وأن يكون هناك شخص - مثلاً- يحاول الانتقام منهم بعد موتهم.. فكرة سخيفة هى، لكن السخفاء يزدادون كل يوم فى هذا العالم بشكل رهيب.. هذه حقيقة..

أباغته بسؤال لم يتوقعه:

- ولماذا اتصلت بى أنا؟! لماذا ليس مع (منذر) وهو ابن خالتك كما أعرف، أو مع (ديمترى) وهـو المختص بهذه الأمور المقرفة؟! أنت تعلم أنه خبرتى فقط مع الأمور التقنية، بالذات مع منصبى الجديد!

يصمت قليلاً، ويجيب بكل بساطة وبراءة:

- لم أفكر بهذا فعلاً.. أحببت فقط أن أخبرك أولاً، لأننى أردت اليوم أن أهنئك بحدثكم الكبير، وأن أخبرك كى تخبرهم! لا شكّ أنّك ستتولى نقل الصورة لهم كما يجب..

يبدو جوابًا منطقيًّا!

أقول له:

- مع أننى لست أرى فى الأمر أى غرابة، ومع أننى شبه متأكد أن الحارس يهلوس، إلاّ أننى سأخبرهما لعلنا نمرّ عليك فى المستشفى غدًا، إن شاء الله..

يصرخ فى أذنى، بينما يقترب منى (منذر) و (ديمترى)، وقد شعرا أننى أطلت فى الكلام مع (همام):

- بل الآن!

أهتف فى دهشة:

- ماذا؟!

يقول فى إصرار:

- الآن!

أقول متمنّعًا فيما يشبه الاعتذار:

- لكنّ هذا مستحيل، الساعة تجاوزت التاسعة بقليـل، ولا يمكننا أن...

يقاطعنى بصرامة لم أتوقعها منه:

- يا (سامر)، الجثث مطعونة فى القلب بسكاكين سوداء!

أصمت.. هذه معلومة غريبة فعلاً، وجديدة..

ـ.. وبدون أحشاء!

هذه معلومة أخرى، أكثر غرابة من الأولى..

ـ.. وبدون عيون!

ماذا؟!

بدون عيون؟!

هل أنت تهلوس أيضًا يا (همام)؟!

لم يسمع أيًّا من هذه الأسئلة، لكنّه أراد صدمى تمامًا بمعلومة أخيرة، جعلتنى أغلق الخط معه، وأتجه مباشرة وبدون إبطاء نحو (منذر) و (ديمترى):

ـ.. وبدون ألسنة!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٤- جثث بدون أحشاء وعيون وألسنة!

شرحت الأمر كلّه لهما، ونحن فى السيارة..

قبل أن نهبط إليها ونركب فيها، أخبرتهما نبذة سريعة ونحن هناك فى الأعلى، واستأذنّا من العميد (قاسم)، مبررين له خروجنا من الحفل، بأننا متوجهون إلى ما يبدو أنه مهمة جديدة، هى الأولى رسميًّا لقسم المخابرات العلمية الجديد..

يقول (منذر):

- وأين سنذهب الآن؟!

أهتف بحنق:

- إلى المستشفى بالطبع يا (منذر)!

أحيانًا يتصرف هذا الرائد بطريقة مثيرة للاستفزاز.. يشعرنى فيها أنه غبى، أو أنه رجل أمن أكثر من اللازم، يتصرف بناء على غريزته، أكثر من تصرفه بناء على تفكيره!

اقتربنا مـن المستشفى كثيـرًا، وقـال (ديمترى) بعـد أن تثاءب:

- متى بدأت الأحداث؟! أحداث القتل هذه؟!

أجيبه، وأنا أتذكر فحوى كلامى مع (همام):

- منذ عدة أيام..

يسألنى:

- كم تقريبًا؟!

- ثلاثة..

- هممممممم! ثلاثة جثث، فى ثلاثة أيام!

جميل.. ها هو (ديمترى) ينتبه لنقطة جديدة لم ننتبه لها! ثلاثة جثث فى ثلاثة أيام؛ هذا يعنى جثة جديدة كلّ يوم!

هل سيستمرّ هذا؟!

هل يعنى هذا ما أفكّر به؟!

أهمّ بالسؤال لولا أن يسارع (منذر) ويسأل بقلق:

- هل يعنى هذا أن هناك جثة رابعة اليوم؟!

ستبقى دومًا مثـار أسئلتى يا (منـذر)، بذكائك أحيانًا، وغبائك أحيانًا أخرى، وتذبذبك الغريب بينهما!

يهزّ (ديمترى) رأسه، ويقول:

- على الأغلب نعم، ما لم نكتشف شيئًا..

نصمت بعد جوابه، وقد انشغل كلّ منا بالتّفكير فى الموضوع من كلّ جوانبه، قبل أن نصل إلى المستشفى..

نغلق السيارة ونهبط منها ونتوجه مباشرة نحو الاستقبال:

- مساء الخير، نريد (همام خميس) لو سمحت..

نقولها للموظف المسئول المشغول باللعب على حاسوبه، لا بدّ أنها (المزرعة السعيدة) أو ما شابهها، لا بدّ!

تمر دقائق كالدهر، قبل أن يظهر (همام) من الممر المقابل، مقبلاً نحونا بسمنته، ووجهـه اللطيف الطفولى المريح.. نصافحه، ويتعانق (منذر) معه، قبل أن يقول:

- اتبعونى..

نتبعه، وقد أزعجتنى رائحة المطهرات والمعقمات التى تعطى للمستشفيات نكهـة خاصـة لا أحبها البتة.. بالذات مع تلك الملابس البيضاء والخضراء فى كلّ مكان.. هـل هـذه أشياء مريحة للعين؟!

أجدها مزعجة جدًّا بالنسبة لى!

نصل إلى باب ضخم مكتوب عليه كلمة واحدة مخيفة، تكفى لتكوين ألف صورة فى البال:

المشرحة!

ندخل خلفه، ونتفاجأ بذلك المشهد.. نعـم، لقـد توقعناه، ولكنه كان غريبًا جدًّا على عيوننا..

أنا بالنسبة لى، لم أر شيئًا كهذا منذ زمن طويل.. هو ليس كهذا بالضبط، ولكنّه قريب منه!

ثلاث جثث، واحدة منها لشاب لا يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره، والثانية لرجل تجاوز الخمسين، أشيب الشعر جدًّا، والثالثة لامرأة ثلاثينية، كانت جميلة الملامح فيما بدا لى مما تبقى من ملامحها!

اشترك الثلاثة فى السكاكين السوداء الكبيرة تلك، المستقرة فى قلب كلّ منهم، والبطن المفتوح، الفارغ، الذى لم يعد فيه إلا بقايا الأحشاء التى كانت موجودة فى الداخل، والعيون التى تحولت إلى فجوات خالية من أى شىء سوى بعض الأعصاب المقطوعة والدماء المتجلطة، والفم المرعب طبعًا.. الفم المفتوح بقوة، والذى لا نرى شيئًا فيه من هذه المسافة!

يغمرنى الاشمئزاز، هذه المشاهد توترنى جدًّا..

يتوجه (ديمترى) نحو أول جثة، يتأملها، و:

- قفازات يا (همام)، ومبضع..

يهرع (همام) إلى خزنة بلاستيكية قريبة، ويفتحها، ليحضر منها ما يريد (ديمترى)، بينما قال لى (منذر) وهو يتابعه بعينيه، وقد انشغل بفحص الجثة الأولى بأصابعه، بعد ارتدائه القفازات الطبية البيضاء:

- ما رأيك فى هذا يا (سامر)؟! ما هذا بالضبط؟!

أقول مشيحًا بوجهى عن المشهد المقزز:

- لا أدرى، وأعتقد أن (ديمترى) سيخبرنا بما نحتاج معرفته بعد الفحص، ولعله يكتشف شيئًا.. بالنسبة لى فأنا أرى الأمر نوعاً من الطقوس الدينية أو العقائد الغريبة تلك.. ربما من فعـل هـذا جماعة من عبـدة الشياطين، أو مجنون ما، أو إحدى الحالات الخطرة نفسيًّا.. ربما هو قاتل متسلسل!

يقول لى فى استنكار:

- قاتل متسلسل؟! هنا؟!

أقول فى جدية:

- لا تعرف ولا أعرف.. ربما، فقط ربما.. وما أدراك؟! لعلنا نشهد ولادة هذا النوع من القتلة هنا لأول مرة!

أتابع (ديمترى) بعينى، وقد انشغل معه (همام)، يحضر له كل قليل أداة جديدة، تساعده على فحص الجثث، وعلى استكشاف ما لا يصل إليه بأصابعه، فى الفم والبطن، وفى العيون بالذات، قبل أن يلتفت - (ديمترى) - إلى (منذر) ويقول:

- (منذر)! أنا جائع!

يدير (منذر) عينيه إليه، ويقول بدهشة:

- ماذا؟!

يرفع (ديمترى) يديه الاثنتين للأعلى، قفازاه غارقان بالدم، ويقول بهدوء:

- أنا جائع، أرجو أن تطلب لنا وجبة سريعة هُنا.. أريد وجبة كبيرة من الدجاج، لا أريد أن يكون حارًّا.. إياك! وأريد علبتين من البطاطا المهروسة، وعلبة مايونيز!

أضحك وأنا أنظر إلى (منذر)، الذى هز رأسه فى حيرة، وابتعد جانبًا رافعًا هاتفه دون كلمة واحدة..

ـ.. ولا تنسَ القليل من الحلوى، لا بدّ منها بعد هذه الوجبة الدسمة يا (منذر)!

أردف بها (ديمترى) ثم تثاءب، وانصرف عائدًا إلى الجثة التى كان يعمل عليها.. تبادلت أنا و(همام) و(منذر) ابتسامة واسعة، قبل أن يتصل هذا الأخير بدليل الهاتف، لأخذ رقم المطعم منهم، والاتصال عليه، وطلب ما يريده (ديمترى)!

أقترب منه ومن (همام)، محاولاً التغلب على كل مشاعر التقزز التى فى داخلى، رؤية الجثث المشوهة عن قرب تثير الكثير من المشاعر وتحرك بركة الخيال الراكدة، بعنف.. هؤلاء أشخاص كانوا قبل عدة أيام مع أسرهم وعائلاتهم، كانوا أحياء ويتنفسون كما أنا حى وأتنفس الآن!

أقول موجهًا كلامى إلى (ديمترى):

- هل هناك شىء جديد؟!

يقول فى اهتمام، وهو يتفحص فم المرأة:

- هُناك شىء شككت به فى جثة الشاب، وازداد شكى أكثر عندما فحصت جثة الرجل، والآن أنا متأكد تمامًا منه..

أقول فى شغف:

- وما هو؟!

يرفع رأسه مرة واحدة، ويقول لى فى ثقة، وعيناه تبرقان بشكل عجيب:

- هُناك آثار مخالب!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ساد الهدوء قليلاً بعد عبارته..

أنظر له أنا و(همام) فى شكّ ممتزج بعدم تصديق، مما جعله يردف مباشرة:

ـ.. شككت بالأمر للوهلة الأولى، واستبعدته تمامًا، لكننى تأكدت أكثـر فى المـرة الثانية والثالثة.. هناك آثار مخالب لا مجال للخطأ فيها أو بتخمينها! الشىء أو الشخص الذى فعل هذا بالجثث هو ذات الشخص، هذا شىء معروف، ولكن غير المعروف أنه لديه مخالب!

وتناول عدسة مكبرة مشيرًا نحو خدوش واضحة على اللسان من الداخل:

ـ.. هل ترى هذه؟! إنها من آثار المخالب.. أستطيع تمييز المخالب بكلّ دقة، وهذه الآثار موجودة فى الجثث الثلاث، فى الفم، وفى البطن، وفى محاجر العيون من الداخل كذلك!

أتراجع إلى الخلف خطوتين..

كأنّما ينقصنى التفكير فى الأمور العجيبة!

الحياة ممتلئة بكل ما هو غريب، وكل يوم نسمع ونقرأ فى الصحف والمواقـع الإلكترونية أخبـارًا لولا أنها من مصادر موثوقة لقلنا إنها خيال رخيص، وبعد هذا يخبرنى (ديمترى) أن هناك مخالب، تعود لشخص، فرّغ الجثث الثلاثة التى أمامى من الأحشاء والعيون والألسنة؟!

ما هذا بالضبط؟!

يقترب (منذر) حاملاً هاتفه، ويسأل عن الأمر، فأجيبه باختصار، قبل أن أقول:

- هل كنت تطلب الوجبة طوال هذا الوقت؟!

يقول فى خطورة:

- كلا طبعًا، كنت أتكلّم مع الإدارة، يريدون منى الحضور فى الصباح لأجل أمر عاجل، لا عليك..

يضحك (همام) فى سخرية، ويقول بكل صراحة:

- الإدارة؟!

ويلتفت لى:

ـ.. إنه يكذب! هذه (هيام) على الأغلب!

أنظر بدهشة نحو (منذر)..

(هيام)؟!

هل تحبّ وتعشق دون أن تخبر أحدًا أيها اللعين؟!

يندفع الدم فى وجه (منذر) إثر عبارة (همام).. لا أدرى إن كانت هذه علامة حرج وخجل، أم غضب!

يقول (منذر) مدافعًا عن تهمة لم يتهمه فيها أحد:

- كلا، ليست (هيام)، إنهم الإدارة حقًّا..

أقول فى خبث:

- ومن (هيام) هذه؟!

يصمت، ويقول (همام):

- إنها فتاة يتكلم معها سرًّا منذ عام وأكثر، لم نرها حتى الآن ولا مرة واحدة.. ولم نعرفها أو نعرف ملامحها بعد، يقول إنه لن يفعل هذا إلا إذا تقدم لخطبتها من أهلها!

أنظر إلى (منذر)، يبدو محرجًا جدًّا، أهم بقول شىء ما لولا أن (ديمترى) سبقنى بقوله فى ظفر:

- من الواضح أننى عرفت جيداً ما الذى يدور هنا..

يسارع (منذر) بسؤاله - ربما للخروج من حالة الإحراج التى تملّكته للحظات:

- ماذا؟!

يقول:

- يبدو أننا نتعامل مع طراز جديد من أكلة لحوم البشر!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٥- أكلة لحـوم البشر..

يشرح (ديمترى) فى هدوء:

- الأمر واضح جدًّا، هناك عيون غير موجودة، وألسنة، وأحشاء أيضًا.. هل أخذها القاتل ليبيعها أو يتسلى بها أو يحتفظ بها فى قوارير زجاجية مثلاً؟! كلا.. لقد أكلها على الأغلب، هذا ما أؤمن به الآن وبشدة.. لا ننسى المخالب أيضًا فهى الدليل الأول هذا..

يقول (همام) موافقًا إياه:

- أضمّ صوتى إلى صوتك يا (ديمترى)..

يقول (منذر) باستغراب:

- أكلة لحوم بشر؟! هل نحن فى الكونغو أو الكاميرون حتى نقابل هذا الطراز من المتوحشين؟!

يقول (ديمترى) ملوحًا بيديه فى الهواء:

- وهل أكلة لحوم البشر فى الكونغو أو الكاميرون فقط أيها العبقرى؟! إنهم فى كـل مكان.. إنهم فقـط ينتظرون الوقت المناسب أو الفرصة المناسبة أو الحافز المناسب..

الحافز المناسب؟!

عن ماذا تتكلم بالضبط يا (ديمترى)؟!

أسأله:

- أى حافز بالضبط؟!

يقول (ديمترى) وهـو يتحرك، ويمشى بسرعة، ناظرًا للأرض دلالة على انفعاله:

- هل سمعتم من قبل عن الوحوش النائمين؟!

يقول (منذر) فى سخرية:

- سمعت عن الأميرة النائمة!

نتجاهل عبارته، وأقول بجديّة:

- بالنسبة لى فقد سمعت عن الجواسيس النائمين!

يفرقع (ديمترى) أحد أصابعه، ويشير لى بسبابته:

- بالضـبط، بالضبط.. الوحـوش النائمون يتشابهون مع الجواسيس النائمين بفـكرة بسيطة.. الجواسيس النائمون هم جواسيس تم تدريبهم وزرعهم فى مكان حساس منذ زمن بعيد، ومن ثم ينقطع الاتصال بين الجاسوس وبين المخابرات التى وظفته ودربته، وبعـد عـدد لا بأس به من السنوات، وحين يكون هذا الجاسوس فى منصب مهم؛ يعود التواصل بينه وبين المخابرات، التى تبدأ بعملية ابتزازه كى يفعل كل ما يريدون، بعد أن يكون قد نسى أمرهم تمامًا، وظنّ أنهم نسوه!

يتوقف قليلاً ليلتقط أنفاسه، ويكمل بعد أن تثاءب:

ـ.. أما الوحوش النائمون فهم وحوش لا يعرف أى منهم أنه وحش! هو فقط ولد بهذه الصفة فيه، وعاش حياته بشكل طبيعى للغاية، ولم ير من نفسه أى تصرف خارج عن الإطار البشرى المعتاد.. لكن، من الممكن أن يأتى حادث ما ويحرك هذه الصفة أو الكيان المختبئ تحت جلده.. ربما يكون تعويذة غامضة، أو رؤية كتاب أو مشهد ما، وعلى الأغلب سيكون حادثة كونية؛ كسوف للشمس ربما، أو خسـوف للقمـر، أو زلزال فى منطقة معيّنة، أو بركان فى جزيرة وسط المحيط.. لا نعرف بالضبط؛ الحافز الذى يفعّل هؤلاء الوحوش النائمين مجهول تمامًا بالنسبة لنا، ومن خبراتى البسيطة معهم أعتقد أنّنا سنجد شيئًا واحدًا على الأقلّ قد حدث خلال الأيام الماضية، حدثًا كونيًّا واحدًا..

أسأل بدهشة:

- هل لك خبرات سابقة مع الوحوش النائمين؟!

يهزّ يده فى لا مبالاة، ويقول:

- نعم، القليل منها.. المهم الآن أن نقوم بعملية بحث لأرى إن كنتُ محقًا أم لا..

لم يكد يتمّ عبارته حتى سمعنا صوت خطوات تقترب من باب المشرحة، وصوت أحد الممرضين ينادى على (همام)..

قال (منذر) متوجهاً نحو الباب:

- إنه المطعم..

يفرك (ديمترى) يديه كالأطفال، ويمد يده ويتحسس لحيته الطويلة.. ربما هذه الحركة لا إرادية، تحدث معه عندما يحين وقت تلبية نداء الجوع!

نجلس ونتناول الطعام، إنه لذيذ فعلاً وشهى، يبدو أن ذوقى فى الطعام يتشابه مع ذوق (ديمترى)!

الغريب أننا وسط مشرحة، نمارس فعلاً يختص بالأحياء جدًّا، ونأكل ونمزح مع بعضنا بشكل عادى، وكأنما ليس هنالك عدة جثث مشوهة من حولنا!

نحن مجموعة غريبة جدًّا.. غريبة جدًّا..

أفكّر بهذه النقطة وأنا أدسّ قطعة من الفخذ فى فمى، ليؤكدها لى (همام) المعلومة فورًا، ببيتين من الشعر يصفان سعادته عندما حضر الطعام!

يرنّ هاتفى فجأة، وأنا على وشك الانتهاء، إنها (ديالا)، لقد قلقت بالتأكيد لأننى تأخرت حتى هذا الحدّ.. أمسح يدى بواسطة المناديل المعطرة التى جاءت مع الوجبة، وأرد عليها بسرعة قدر استطاعتى:

- نعم يا حبيبتى..

يأتينى صوتها الجميل يقول لى فى حنق:

- أين أنت يا (سامر)؟! الساعة تجاوزت العاشرة والنصف بقليل.. هل ما زلت فى الاحتفال؟!

أوف! لقد نسيت أن أخبرها أننى خرجت..

أجيبها، وأنا أرى (منذر) و(ديمترى) و(همام) ينهضون ويمسحون أيديهم بذات المناديل المعطرة:

- كلا لستُ فى الاحتفال، لقد خرجت فى زيارة قصيرة إلى المشرحة.. و...

قاطعتنى فى ذعر:

- مشرحة؟!

خوف أى امرأة من هذه الأمور ضرورى جدًّا، إنه علامة مسجلة لكلّ واحدة منهنّ، بالإضافة إلى الخوف من الظلام، والصراصير، وأن تكون هناك نسوة جميلات أكثر منها مثلاً!

أقول لها بصوت هادئ، جعلها تطمئنّ قليلاً:

- لا تقلقى، هى مجرد زيارة عابرة.. نحن فى المستشفى الذى يعمل فيه (همام)؛ مستشفى الإخلاص.. هناك حادثة قتل وكان لا بدّ لى من الحضور، سآتى بعد قليل.. هل هناك شىء؟!

تقول:

- كلا.. هى فقط الرائحة الكريهة، إنها تزداد يا (سامر)، لا أدرى ما الشىء الذى تفعله (سو) فى الداخل بالضبط.. تراها ماتت؟!

أنا وزوجتى نفكر بذات الطريقة، ونسبح على ذات الموجة!

أضحك وأقول:

- لا أعتقد هذا، ما زالت شابة فى السبعين من عمرها! سأمر عليها صباحًا وأتكلّم معها حول هذا الأمر..

تقول:

- حسنًا، لا تتأخر..

أنهى المكالمة، وأرى (ديمترى) يمسح فمه، ثم يقول:

- نريد سيارة إسعاف!

يسأله (منذر) فى حذر:

- لماذا؟!

يلتفت إليه (ديمترى)، ويقول ببساطة بعد أن تثاءب:

- كى تنقلوا هذه الجثث عندى، إلى الشقة.. أدواتى التى أحتاجها ليست هنا، وهذا يكاد يصيبنى بالجنون!

يتجه (همام) إلى الخارج لطلب سيارة إسعاف، بينما نظرت أنا و (منذر) إلى (ديمترى)..

لا يستطيع (ديمترى) العمل بدون أدواته وآلاته، خصوصًا وأن نسبة كبيرة منها هى من اختراعه وتصميمه وتجميعه.. تعرفون أنه مختص بالفيزياء الكيميائية، وأنه يدمج ما يفعله بالتكنولوجيا؛ كما أنّ هناك (فابيو سكاشيتشى) أيضًا!

أسأله وقد تذكرت هذه الجثة المشحونة بالكهرباء، والتى يستشيرها (ديمترى) كثيرًا، ولم يستشرها اليوم:

- لماذا لم تستشر (فابيو) بشأن الجثث؟!

يضرب رأسه، ويقول وفى صوته نبرة عتاب لذاته:

- الشريحة التى فى رأسى معطلة! لا بدّ أن أصلحها فور عودتنا إلى الشقة معكم ومع الجثث!

يقترب (همام)، ويقول:

- السيارة فى الخارج..

نتعاون أنا و(همام) و(منذر) و(ديمترى)، مع اثنين من الممرضين، على إخراج الجثث إلى الخارج، على النقالات، بعد أن غطيناهما سريعًا بشكل جيـد.. لا نريد أن تثيـر هـذه الأشكال المشوّهة أى نوع من الذعر فى المستشفى!

الساعة الآن: الحادية عشرة ليلاً، تقريبًا..

نركب فى السـيارة، سيارتى، وأشير إلى سـائق سـيارة الإسعاف أن يتبعنى، وفجأة ارتفع رنين هاتف (منذر)، بنغمة معروفة لأحد مطربى (الراب) الأمريكيين الزنوج!

- آلـو..

يقولها، يبدو الاهتمام والجدية والخطورة على وجهه وهو يستمع لمحدثه.. ترى هل هى المعشوقة السرية (هيام)، أم أنّه فعلاً يتحدث مع أحدهم؟!

يغلق هاتفه، يزفر بقوة، يقول لى:

- توقف جانبًا.. توقف يا (سامر)..

أتوقف بسرعة على اليمين، وألتفت إليه قائلاً فى قلق، وقد انتبهت أن سائق سيارة الإسعاف قد توقف خلفى:

- ماذا هناك؟!

يقول:

- هُناك جثة رابعة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٦- هُناك جثة رابعة!

ألا تريد هذه الليلة أن تنتهى؟!

أنزلت (منذر) الذى طمأننا وقـال إنهم فى الإدارة سيرسلون له سيارة شرطة سريعًا.. طبعًا تم تحديد مكانه بواسطة هاتفه المحمول، المتصل بالأقمار الصناعية والإدارة، معًا..

توجهت بعدها ومعى (ديمترى) نحو الشقة، لم نأخذ (همام) معنا فقد انتهى دوره حتى هذا الحد..

أوصينا (منذر) بأن يحضروا الجثة الرابعة إلى الشقة!

وصلنا هناك، تعاونّا جميعًا حتى صارت الجثث على الطاولة الكبيرة فى شقة (ديمترى).. الشقة العجيبة!

كنت أنا قد وصلت الحد الأخير من الإرهاق حتّى هذا الحدّ، أشعر أننى متعب للغاية ولا بدّ أن آخذ قسطًا من الراحة..

يقول (ديمترى) بعد أن تثاءب، وهو ينظر إلى عينى:

- تبدو مرهقًا، اذهب إلى بيتك وعائلتك الآن، شكرًا لك جدًّا فقد أتعبناك معنا اليوم.. سأكمل فحص الجثث هـذه الليلة، وسأنتظر (منذر) والجثة الرابعة..

أقول:

- لو احتجتنى بأى شىء اتّصل بى..

يقول بكل وقاحة، ردًّا على مجاملتى:

- طبعًا، لا شكّ فى هذا..

أصافحه وأهبط إلى سيارتى، أتوجه بها إلى البيت على الفور، وموسيقى (شوبان) تحاول جاهدة أن تهدئ أعصابى..

وصلت البيت، (ديالا) نائمة، و (كريم) كذلك..

أخلع حذائى، أغير ثيابى، أستعمل دورة المياه، أدسّ جسدى فى الفراش، وأغطّ سريعًا فى نوم عميق!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أيقظنى اتّصال (ديمترى) الساعة السادسة والربع صباحًا..

صحوت، وتناولت الهاتف، وقلت بصوت ناعس:

- نعم يا (ديمترى)..

أتانى صوته يقظًا نشيطًا:

- هل أنت نائم؟! هل أيقظتك؟!

رباه! ما هذه الأسئلة الحمقاء؟!

أجيبه فى ضيق:

- كنتُ نائمًا، و... نعم، أيقظتنى.. ماذا هُناك؟!

يقول بإصرار، وبلهجة حاسمة:

- يجب أن تحضر الآن!

ما هذا؟!

(همام) يطلب منّى بالأمس أن أحضر الآن، و(ديمترى) كذلك.. بقى أن يقولها (منذر)! فقط!

أقول:

- لماذا يا (ديمترى)؟!

يقول فى سرعة:

- لن أستطيع أن أقـول كلّ ما لـدى على الهاتف.. تعال بأقصى ما تستطيع من سرعـة، لا تفطر فى بيتك، سنفطر هنا فى الشقة، عندى، ونحن نتحدّث حول الأمر!

أقول بحدّة:

- كلا، سأفطر فى البيت، وسأنهى بعض شئونى أولاً، وبعدها سأحضر.. إنها ليست نهاية العالم يا (ديمترى).. كلّ شىء يمكنه أن ينتظر، ما الهدف من خلق الوقت والصبر إذًا؟!

يصمت قليلاً، يبدو أن حدّتى فاجأته، يقول بهدوء:

- حسنًا، أنهِ شئونك وتعال، نحن بانتظارك..

وأغلق الخطّ!

ترى هل غضب؟!

فليغضب، أنا لست آليًّا أتحرك حسب الضغطات على جهاز التحكّم، لى حقوق وواجبات أيضًا.. يجب أن يعرف هذا..

أوقظ (ديالا) و(كريم)، أنهض وأتوضأ وأصلى، أجلس على حاسوبى قليلاً وأعبر عن غضبى قليلاً فى مدوّنتى، جميل؛ يبدو أنّ هناك المزيد من الزيارات عليها فى اليومين السابقين..

تنادينى (ديالا) بعد ساعة إلاّ ربع تقريبًا، نتناول الإفطار معًا، لا أجمل من تناول الإفطار مع الزوجة صباحًا، فكيف إذا كان فى الأمر طفل أيضًا، طفل ذكى؟!

نتحاور وأسأله عن مدرسته، وأسألها عما فعلته بالأمس، وتخبرنى أنّها ستذهب إلى المركز الرياضى اليوم مرة أخرى لتسجل فيه، لقد ذهبت بالأمس إليه وأعجبها..

أعجبنى هذا، هكذا ستستغل وقتها، أو على الأقـل ساعتين منه أثناء غيابى وغياب (كريم).. أعجبنى هذا..

أرتدى ثيابى، أودّعها وأنزل مع (كريم) إلى الأسفل.. وهُناك كانت السيارة الجديدة تنتظرنى، سيارة صفراء حديثة، لها ذات رقم سيارتى القديمة، وذات الإكسسوارات والإضافات التى كانت فيها.. سيارتى القديمة لم تكن هنا! لا بدّ أن العملاء جاءوا فى الليل وبدّلوا السيارتين..

فتحتها بمفتاح سيارتى واستغربت أننى دخلتها بكلّ سهولة، سأخبر (ديالا) عن هذا لاحقًا، المهمّ الآن أنّ (كريم) يقفز من حولى فى سرور، قبّلته، وأوصلته إلى مدرسته، وتوجّهت بعدها مباشرة نحو شقة (ديمترى)..

السيارة قوية بالفعل..

شكرًا يا إدارة المخابرات العلمية، شكرًا!

وصلت هُنا، صعدت على الفور، دققت على الباب، فتحه لى (منذر).. صافحته ودخلت..

- صباح الخير..

أقولها محاولاً جعل الأمور عادية، لا يعلق (ديمترى) بأى شىء حول جوابى الحاد معه، هذا مريح..

يقول وهـو يقتـرب منى، وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة واسعة لطيفة:

- صباح النور يا (سامر)..

يصافحنى، ثم يردف:

ـ.. وصل (منذر) قبلك بخمس دقائق، ولم أخبره بشيء بعد مما وجدته، ولم أتصرف أيضًا قبل مجيئكما..

قالها واتجه نحو الجثث، ها هى الجثة الرابعة هنا، لا بدّ أنّهم أحضروها هنا بالأمس، ليلاً، وأنا مستغرق فى النوم..

ارتدى (ديمترى) قفازًا طبيًّا واقترب من جثة المرأة بهدوء، مد يده وأمسك شيئًا..

اقتربنا منه لنرى هذا الذى فى يده..

شعرة رمادية طويلة!

أقول فى حيرة:

- ما هذا يا (ديمترى)؟!

يتأملها (منذر)، ويجيبنى هو بظفر:

- إنها شعرة وجدتها عالقة بكفن هذه السيّدة!

يسأله (منذر) فى انبهار، وجدته طفوليًّا إلى درجة مشفقة:

- كيف وجدتها؟!

يجيبه (ديمترى) فى زهو:

- كان لا بدّ لى من تجربة كلّ الاحتمالات.. تعلمت قديمًا كما تعلّمتما أنتما؛ أن المجرم دومًا يترك أثرًا.. وهنا برزت فى ذهنى فكرة أن أفحص الأكفان، لعلى أجد شيئًا.. وبقدر ما كانت الفكرة غريبة، إلاّ أنها كانت مفيدة!

أقول، وقد ارتديت قفازين فى يدى، وأمسكت بالشعرة فى واحدة، وبعدسة مكبّرة فى الأخرى، متفحّصًا:

- تبدو شعرة أنثوية!

يتناولها (ديمترى) منّى، ويقول:

- نعم، أنثوية ورمادية.. يبدو أنها تعود لعجوز ما!

يأخذها برفق وحذر، ويتجه بها إلى مجهر قريب، أتذكّر شيئًا هُنا وأقول له:

- هل أصلحت الشريحة التى فى رأسك؟!

ينظر لى فى امتنان، يهزّ رأسه نفيًا، يترك الشعرة هُناك عند المجهر ويتجه إلى صندوق غريب.. يمد يده ويخرج منه أنبوبًا طويلاً ويضعه قرب رأسه،

يضغط زرًّا عليه، ويصرخ فجأة!

أهرع إليه فى قلق:

- ماذا؟!

يبتسم بألم:

- لا عليك.. هذا أنبوب مغناطيسى، يفرز جزيئات إلكترونية ذكية دقيقة الحجم جدًّا، تعالج أى مسألة بسيطة أو عويصة، ولها علاقة بالأمور الإلكترونية والآلية..

أبتسم بدورى، ولكن بإعجاب.. جميل أن تكون مخترعًا، والجميل أكثر أن ترى من يفوقك بإبداعه أحيانًا! هذا شىء يحفز القدرات جدًّا، بصدق..

تمر خمس دقائق، يبتسم، ينتهى، يضع الأنبوب جانباً:

- انتهيت..

نعود إلى حيث المجهر والشعرة الرمادية، لكنه وقبل أن يضع رأسه هُناك ليفحصها، قال موجهًا كلامه إلى (منذر)، الذى انشغل بملاعبة البطريق الذى يملكه (ديمترى):

- (منذر).. تعال قليلاً..

بطريق عند (ديمترى)! هـذه معلومة يجب أن تكـون محفوظة بالنسبة لكم الآن، تعلمون أن هناك عدة أقفاص فى هذه الشقة، فيها طيور وقطط وكلاب وأرانب، والبطريق حتمًا! هذا الكائن الذى لا أدرى كيف يعيش هنا فى هذه الشقة، وهو الذى يحتاج جـوًّا خاصًّا لا يتوفر له إلاّ فى القطب الشمالى، والذى لا بدّ أن يلاعبه ويداعبه (منذر) فى كلّ مرّة نكون فيها هنا!

من الغريب أن الحيوانات التى عنـد (ديمترى) لا تصدر أى صوت، لا تغـرد ولا تمـوء ولا تنبح.. لم أنتبـه لهـذا الأمر إلا الآن، سأسأله عن هذا لاحقًا!

يقترب (منذر)، ويقول:

- نعم يا (ديمترى)..

رمقه (ديمترى) بنظرة عتاب، ذكّرتنى بوالد يعاتب ابنه بواسطة العينين! تعرفون هذا الطراز من النظرات المدمرة! وقال له مشيرًا إلى مكتب قريب فى الزاوية:

- دعك من البطريق وحاول أن تفهمنى قليلاً.. فى الدرج الأول من ذلك المكتب ستجد حاسوبين محمولين، أحضر واحدًا لك، والآخر هاته كى يعمل

(سامر) عليه..

يتوجه (منذر) إلى المكتب ويتناول الحاسوبين منه، يعود بهما ويعطينى واحدًا، ويحتفظ بالثانى، ننظر إلى (ديمترى) بتساؤل، فيقول:

- سأفحص الشعرة الآن، وأرى مع (فابيو) إن كان الأمر يستحقّ إجراء كلّ الفحوص عليها لمعرفة إن كان بوسعنا اكتشاف بعض ألغاز الشخص أو المرأة التى لها علاقة بهذا التشويه فى الجثث أو لا..

يلتفت لى:

ـ.. أنت يا (سامر) حاول أن تبحث فى الإنترنت عن أى حوادث كونيّة غريبة أو مهمّة وعنيفة حدثت خلال الأيام الأربعة الماضية.. كل مواقع البحث التى عندك هنا مطوّرة جدًّا، لا شكّ أنّك تعرف هذا..

يلتفت إلى (منذر) ويقول بعد أن تثاءب:

- وأنت يا (منذر)؛ حاول أن تبحث فى المواقع الغرائبية، وشبكات ما وراء الطبيعة والخوارقيات عن أى شىء له علاقة بما يجرى.. ابحث عن أى طقوس لها علاقة بالسكاكين السوداء، واقتلاع العيون والألسنة، وتفريغ جثث الموتى من الأحشاء..

أحضرت مقعدًا لى، وجذب (منذر) مقعدًا، وجلس كلّ منا يضغط أزرار لوحة المفاتيح فى حاسوبه.. بقى (ديمترى) واقفاً وكأنه لا يشعر بالتعب..

مرّت أكثر من نصف ساعة علينا وكلّ منّا مشغول فى بحثه، بالنسبة لى فلم أجد شيئًا يستحق الذكر.. هناك عواصف قوية، هناك زلزال بسيط لم يتجاوز الدرجات الأربع على مقياس ريختر، فى (تركيا)، أمطار شديدة فى الأمازون.. حوادث تفجير كالمعتاد فى بعض الدول العربية، ثورات بسيطة أو بقايا ثورات من الشعوب ضدّ الحكّام، لا أكثر من هذا!

أقول هذا لهما، يسارع (منذر) بقوله أنه لم يجد شيئًا!

الغريب أنه لم يجد شيئًا على الإطلاق، بحث فى كل المواقع، وباللغة العربية والإنجليزية دون جدوى..

أقول:

- وأنت يا (ديمترى)، هل هناك جديد؟!

يلتفت إلينا بوجه خال من الانفعالات.. يقول:

- ليس الكثير..

يجذب مقعدًا ويجلس بجانبنا، ويستطرد:

ـ.. الشعرة تعـود لامرأة، لا يقلّ عمرها عن ستين عامًا على الأقلّ.. فقط!

وصمت..

توقعت أن يقول المزيد، لكنه لم يقل شيئًا!

قلت:

- هل هذا كلّ شىء؟!

يقول فى تعب:

- نعم، هذا كل شىء.. أجريت مع (فابيو) كلّ أنواع الفحوص، لم نجد شيئًا غير عادى.. هى مجرد شعرة فقط، لا تحمل أى دلائل وراثية غريبة أو غير مألوفة..

يتنهّد، ويقول:

- لا أعرف ما العمل الآن.. لا أعرف..

أنغمس فى تفكير عميق بعد عبارته، أقلب الموضوع من كل جوانبه، فجأة أتذكر عدة أمور، وتخطر فى بالى عدة أسئلة، أبادر بتوجيه أولها إلى (منذر):

- الجريمة الأخيرة، هل هناك أى شهود عليها؟!

يقول:

- هُناك فتاة صغيرة مذعورة، لكنّ أهلها رفضوا بشدّة أن يتكلّم معها أى أحد..

أتمتم مستفسرًا:

- لم تحدث الجرائم الأربعة فى مقبرة واحدة، أليس كذلك؟!

يقول، بعد أن تبادل نظرة مع (ديمترى):

- كلا، كلّ جثة من مقبرة مختلفة..

أنهض، وأدور حولهما ببطء وأنا أقول فى هدوء، محاولاً تحليل الموضوع:

- هُناك أربع جثث مشوهة حتى الآن، كلّ جثة تمّ اقتلاع عينيها ولسانها، وتفريغ بطنها من الأحشاء، وغرز سكين سوداء فى قلبها.. طبعًا لا بصمات على مقبض السكاكين، أليس كذلك يا (ديمترى)؟!

يجيب (ديمترى):

- كلا طبعًا..

أكمل، ورأسى يهدر بالأفكار:

- كل جثة أتتنا من مقبرة مختلفة، وليس هناك أى رابط أو علاقة تربط الجثث ببعضها البعض.. وحتى لو أردنا أن نذهب إلى كل مقبرة ونرى القبور هناك، لن نكتشف شيئًا ولن يتحقّق إلا ضياع المزيد من الوقت، رجال الشرطة والمختبر الجنائى هناك قاموا بواجبهم كما ينبغى، ولا بدّ أنهم ساهموا بطمس أى آثار باقية - هذا لو أنها وجدت أصلاً ـ..

يهزان رأسيهما إيجابًا، وأردف:

ـ.. تم إيجاد شعرة رمادية طويلة على كفن المرأة، وبعد الفحص تبيّن أنّها تخص عجوز عمرها لا يقلّ عن ستّين عامًا، ولا نملك أى معلومات أخرى الآن.. لا عنها، ولا عن الطقوس الغريبة التى فعلتها وشوّهت فيها الجثث، ولا عن أى شىء رأته الفتاة الصغيرة المذعورة التى يرفض أهلها أن تتكلم، ومعهم حقّ بصراحة، لو كنت مكانهم لما رضيت!

ألتفت إليهم، وأسأل:

- هل هناك شىء آخر؟!

يصمتان قليلاً، يجيبنى (ديمترى):

- كلا، لقد أجدت تلخيص الموقف..

أقول:

- حسنًا، هـذه اقتراحاتى عليكما، ولا بدّ أن نفعلها وأن نتحرك، لا نريد أن نسبب التعب النفسى والجنون لذوى ميت خامس سيعرفون أنّه تشوّه مساء هذا اليوم.. لم نفكر بنصب كمائن فى المقابر الموجودة فى كل المدينة لأنها كثيرة، ولأن الشخص الذى يأتى مرتدياً السواد نحو القبور الحديثة، ويفعل هذه الأفعال؛ لن يوقفه أى كمين..

أنظر إلى (منذر)، الذى ينهض مع توجيهى الكلام إليه:

ـ.. يجب أن تذهب لأهل الفتاة، لعلهم يلينون.. أخبرهم أنك من المخابرات العلمية، وأنك بعيد عن أجواء الشرطة الرسمية والعنيفة تلك.. فقط أخبرهم بهذا، وحاول أن تكون لطيفًا وطيبًا ورائعًا حتى أقصى حد.. ربما تنجدنا معلومة ما لم ننتبه إليها..

أنظر إلى (ديمترى):

- يجب أن تذهب إلى مكتبة الجامعة.. هُناك كمّ لا بأس به من الكتب القديمة هُناك، مسئول المكتبة صديقى، سيف ـ...

قاطعنى بغتة وهو ينهض:

- (رياض محمود)!

أتوقف عن الكلام إثر مقاطعته، وأعقد حاجبى فى تساؤل:

- من؟!

يقول فى سرعة، ضاربًا جبينه بباطن يده:

- إنه صديق قديم لى، مختص بالبحث عن كلّ الكتب القديمة وتجميعها عنده.. هذه هوايته منذ أن كان زميلى منذ عشرين عاماً وأكثر.. قارئ محترف غزير القراءة هو، ويملك قدرة حفظ عالية للغاية، سيوصلنى الآن (منذر) إلى بيته قبل أن يتوجه إلى أهل الفتاة.. لا أدرى كيف نسيته!

أبتسم، جيّد جدًّا، هذا ما كنت بحاجة لسماعه فعلاً.. يجب أن نتحرك.. الساعة تكـاد تتجـاوز الحادية عشرة بقليل، والشمس تكاد تتوسـط السـماء، والحـرّ بدأ يمارس نشاطه المعتاد..

يسألنى (ديمترى) بشكل عابر:

- وأنت؟!

أبتسم:

- أعطنى الشعرة الرّماديّة أوّلاً.. أحتاجها..

يذهب إلى المجهر، يتناولها ويضعها فى أنبوب بلاستيكى صغير الحجم، يناولنى إياها، وأقول:

ـ.. سأتواصل معكما على الهاتف، وأعرف أين وصلتما، مباشرة فور فراغى من التوبيخ والاختراع!

يسأل (منذر) وهو يتوجه نحو الباب:

- التوبيخ والاختراع؟!

أبتسم ابتسامة واسعة، وأقول:

- نعـم، سـأعود إلى البيـت لأرى ما الذى تفعله الحمقاء (سو) بالضبط، إنها جارتنا الرومانية التى تفوح من بيتها رائحة كريهة منذ الأمس، وأزعجت كلّ المبنى.. كما أنّنى لا أطيق العمل بغير أدواتى، تمامًا مثلك يا (ديمترى)!

يسألنى (ديمترى) بفضول علمى شديد:

- وما الذى ستخترعه بعد فراغك من التوبيخ يا (سامر)؟!

أقول:

- سأحاول صناعة جهاز يتعقب صاحبة هذه الشعرة، ويدلّنا على مكانها بكلّ دقة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٧- اسمهـا (سـو)!

خرج (منذر) ليرى الفتاة وأهلها، وخرج (ديمترى) ليرى صديقه (رياض محمود) هذا - الذى تذكره فجأة ـ، ورجعت أنا إلى البيت كى أوبّخ (سو)، وأرى سبب هذه الرائحة، وكى أرى إن كان بوسعى اختراع جهاز يتعقب أثر صاحبة هذه الشعرة الرمادية!

الحماس يملأ كلّ خلايای.. هذا جميل، أشعر أن الإثارة قد بدأت الآن بالنسبة لى..

أصل إلى البيت، أهبط من السيارة، أرى (عامر) يمشى أمام منزله فى بطء، ويتكلّم فى الهاتف بصوت منخفض! هذا الوغد الأحمق! والده الحاج (توفيق) هو صاحب أكبر مصنع للمشروبات الغازية فى المملكة، وما يزال هو يتصرف بكل استهتار ولا مبالاة، ويقضى نهاره وليله مع الفتيات.. آخر واحدة منهنّ كان اسمها (سوسن) كما أذكر، لا بدّ أنه تخلص منها، ربما هى (ياسمين) أو (نانسى) أو (سلوى) الآن..

أغمزه بعينى فيبادلنى الغمز.. أتذكّر بهذه الحركة مبدأ النّكز فى الفيسبوك، لا بدّ أن ينكزك أحدهم كلّ حين، ومن العيب أن لا تردّ النّكز، بنكز مماثل!

أصعد الدّرج حتى الطابق الثالث الذى تسكن فيه الأرملة الرومانية (سو)، بيتى فى الطابق الرابع كما تعرفون، لكن لا بدّ من أن أفعل هذا معها، حتى لو كانت بعمر جدّتى..

أقف أمام الباب، أشهق وأزفر عدّة مرات.. رباه! ما هذه الرائحة المزعجة جدًّا؟!

الرائحة مثيرة للاشمئزاز فعلاً، مع (ديالا) كلّ الحق أن تشعر بالغضب.. إنها أشبه برائحة جيفة..

أو جثث!

هززت رأسى وطردت هـذه الخواطر من ذهنى، ثم طرقت الباب مرّتين بكلّ هدوء..

مرّت دقيقة كاملة دون أن أسمع صوتًا من خلف الباب، فطرقت مرّتين من جديد، قبل أن أسمع صوت خطوات بطيئة، ثمّ صوتها يسأل:

- من؟!

كان من الواضح بالنسبة لى أنها ترانى الآن من خلف العين السحرية، فنظرت مباشرة نحو العدسة، وقلت:

- إنه أنا يا مدام (سو).. (سامر رمضان) الذى يسكن بالطابق الرابع هُنا، سائق التاكسى..

تقول بصوت كالفحيح:

- ماذا هناك؟!

أتابع النّظر إلى العدسة:

- هُناك رائحة مزعجة جدًّا منذ الأمس، وهى تنطلق من شقّتك أنت بالذات يا سيّدتى، أرجو أن تجدى لها حلاً سريعًا لأنها أصبحت مصدر قلق بالنسبة لنا جميعًا..

أسمع صوت مفتـاح يدور فى القفل، قبل أن تفتح الباب، وتطلّ على بوجهها الممتلئ بالتجاعيد، وشعرها الرمادى الذى يظهر مـن خلف غطـاء رأس قصير، وعباءتها السوداء المزركشة بعدة رسوم وزخارف أندلسية..

آخر مرة رأيتها كانت قبل عدة أشهر، وكان وجهها طفوليًّا ضاحكًا، لماذا تبدو مثقلة بالهموم هذه المرة؟! لماذا تبدو أقرب إلى عانس شمطاء قبيحة؟!

تبدو أكبر سنًّا بكثير!

أقول لها فيما يشبه الاعتذار، ولكن بحزم:

- آسف ولكنّ الرائحة قاتلة فعلاً.. ويجب أن تجدى حلاً سريعًا لئلاّ نشكو عليكِ.. و...

قاطعتنى بسرعة قبل أن أقول أى شىء آخر، وبمجرد أن وصلت إلى هذه النقطة:

- سأحاول أن أجد حلاً.. هل هناك المزيد؟!

أقول متراجعًا إلى الخلف خطوة:

- كلا، شكرًا لك..

تحدّق فى عينى مباشرة، تهزّ رأسها، وتغلق الباب!

لماذا هكذا تصرفت معى؟!

لا يهمّنى، المهم أننى أوصلت لها ما أريد، وأخبرتها أننى سأشكو عليها إن لم تجد حلاً..

أصعد إلى الطابق الرابع وأنا أفكّر: لماذا لا يوجد مصعد فى هذا المبنى؟! يجب أن نجد مكانًا جديدًا لنسكن فيه.. يجب، فما دمـت أنا أتعب من هـذه الطوابق الأربعة، ما شعور (ديالا) و(كريم) المسكينين إذًا؟!

أفتح باب الشقة، أدلف إلى الداخل.. (ديالا) ليست هُنا بل فى المركز الرياضى، و(كريم) ما يزال فى المدرسة.. جيّد..

أخلع حذائى فقط، أدخل إلى المطبخ وأقوم بإعداد طبق كبير من الأندومى بالبيض على عجل، وأنا أدندن بلحن معروف وقديم للمطربة (نجوى كرم)..

أتناول ما فى الطبق وأنا أمام التلفاز، إحدى محطات الأفلام التى أحب متابعتها تعرض فيلمًا عن قصة ثأر بين مجموعة من رعاة البقر الغربيين.. أحبّ ذلك الزمن..

أنتهى من الطبق، أغسله وأضعه مكانه، أدخل إلى مكتبى، عالمى الخاص كما أحب أن أسميه..

أخرج العلبة وأضعها أمامى، وأبدأ على الفور بالبحث فى الصناديق والأدراج التى فى غرفتى عما أحتاجه من أدوات؛ أسلاك نحاسية، ألياف ضوئية، دوائر سيليكون دقيقة، دوائر مغناطيسية ملتفة، محركات صغيرة الحجم، مداخل ومخارج إليكترونية، منصات آلية لإطلاق الأشعة، عناكب بحث كهربائية، قطع بلاستيكية يمكن طيّها واستخدامها لغايات متعدّدة، وغيرها الكثير مما لا مجال لذكره..

كنت بحاجة لاختراع جهـاز يتعـرف على البصمة الجينيـة والعلامة الوراثية الموجودة فى هذه الشعرة، وينطلق بعدها للبحث فى المدينة عمن يحمل ذات البصمة الوراثية..

باختصار؛ كنت بحاجة إلى كلب صيد إلكترونى، من طراز خاص ومميز، يستطيع ملاحقة البصمة الجينية الخاصة للبشر! لا شكّ أن أجهزة الشرطة والمخابرات ستشكرنى جدًّا لو اخترعت هذا الجهاز، وأمددتهم بفكرته أو بنسخة منه!

المشكلة فى عملنا، وفى قوانيننا، وفى القواعد التى لا بد أن نسير عليها كما هى؛ أنّ هذه الاختراعات تبقى محصورة فقط للدولة، وتبقى ملكيتها للدولة.. أى أنّ هذا الجهاز - إذا قمت بإنجازه كما يجب - سيتحول إلى ملكية خاصة للدولة، لا يحقّ لى استثماره أو التصرف به كما أريد!

ربما هذا ليس عدلاً كما يتوقع الكثيرون أن يكون رأيى طبعًا، لكنّنى راضٍ.. يهمّ كل شخص أن تكون دولته متقدمة على ما سواها، بالحق..

أبدأ فى التركيب، والتجريب، ومزج المواد، والصهر، ودمج الأسلاك بالألياف، ويمر على الوقت، نصف ساعة، فساعة، فساعة ونصف، قبل أن تدخل (ديالا) من الباب، وتقبل نحوى وهى مستغربة من وجودى فى هذا الوقت..

- ماذا تفعل؟!

تقترب منى، أخبرها دون أن ألتفت إليها:

- أريد كأس عصير!

تفهمنى على الفور، ما دمت لم أنظر إليها، وما دمت أجبت السؤال بطلب فهذا يعنى أننى فى قمة تركيزى الآن.. أنا هكذا، مما جعلها تغلق الباب على، وتذهب إلى الداخل كى تغير ثيابها وتقوم بعمل هذا الكأس لى..

خمس دقائق فقط هى المدة التى أخذتها، وكان كأس العصير أمامى، منعشًا ولطيفًا، وفيه بعض قطع الثلج..

(ديالا).. أنت ملكتى!

أقول لها دون تركيز:

- شكرًا لك..

- عفوًا.. لا أريد أن أعطلك..

تقولها وتغلق الباب، هى تعرف أننى فى وقت مهم جدًّا بالنسبة لى، ويحتاج منى تركيزًا عاليًا للغاية..

تمر نصف ساعة سريعة أخرى.. أفكّر: لم يتصل بى (ديمترى) ولا (منذر).. ربما لأنهما فهما أنّنى سأتصل بهما أولاً!

يمر المزيد من الوقت، وأنتهى، لا بدّ من التجربة.. لكنّ المشكلة أنّ هذا الجهاز يحتاج مصدر طاقة هائل، لو أننى أجربه الآن هنا؛ سأغامر بقطع الكهرباء عن الحى كاملاً.. يجب أن أجربه فى شقة (ديمترى)..

أجلس متعرقًا، أحدق فى الجهاز الذى كان بدون ملامح واضحة، فقط مجموعة كبيرة من الأسلاك والقطع الكهربائية والوصلات، مختلفة فى الأحجام والألوان، يدخل بعضها فى بعضها ويخرج بعضها من بعضها الآخر!

أرتشف رشفة من العصير، إنه مانجو طبيعى، قبل أن أضع الكأس وأرفع هاتفى إلى أذنى، وأتصل على (ديمترى):

- (ديمترى)، أين أنت؟!

يأتينى صوته:

- خرجت للتو من عند الرجل، إنه كنز حقيقى يا (سامر)، لقد أمدّنى بمعلومات كثيرة لم نكن نعرفها كلنا من قبل..

أقول فى لهفة وفضول:

- مثل ماذا؟! هات وأخبرنى يا رجل، الشوق يكاد يقتلنى.. هل عرفت شيئًا؟!

يقول، وأتخيله يهز رأسه نفيًا فى مكانه حيث هو:

- كلا، لن أعيد الكلام مرّتين، سأقوله لك ولذلك الوغد.. أين هو (منذر)؟! هل حصل معه شىء بشأن الفتاة؟!

قلت بعد أن احتسيت المزيد من المانجو:

- لا أعرف، لم أتصل معـه بعـد، قلت إنّنى سأتصل بك أولاً..

يسأل:

- هل أنهيت الاختراع؟! هل وفقت؟!

أجيبه فى غرور لا أقصد منه غير الدعابة:

- نعم، وأعتقد أنه سيكون أكثر من ممتاز، المشكلة أنّنى لم أجربه لأننى بحاجة إلى مصدر طاقة هائل، وأظن أننى سأجد هذا المصدر عندك..

يصمت قليلاً، قبل أن يقول بلهجة المتعجل:

- حسنًا، سنلتقى فى الشقة بعد قليل، عندى.. أنا فى الطريق إلى هناك..

أسأله:

- من سيحضرك إلى الشقة؟!

يجيب فى حدّة:

- أنا طبعًا، ماذا تظنّنى؟! خلال عشر دقائق سأكون هناك، بسيارة تاكسى!

قالها وأنهى المكالمة، نظـرت لوهلة إلى الهاتف بدهشة وضحكت، شربت المزيد من المانجو واتصلت على (منذر):

- مرحبًا يا (منذر).. أين أنت؟!

جاءنى صوته:

- أنا فى الشقة منذ نصف ساعة تقريبًا!

أسأله متأملاً أن يكون مفيدًا فعلاً:

- هل من خير فى زيارتك؟!

يقول فى إحباط:

- حاولت بشتى الطـرق أن أقنع الوالدين، وجرّبت كل الوسائل بدءًا باللين وانتهاء بالتحذير والوعيد.. لم ينفع أى شىء! يبدو أنهما يخافان عليها جدًّا..

أقول له محفزًا إياه ألا يقلق، وألا يلقى بالاً:

- دعك منهم ومنها، لا أعتقد أننا سنستفيد أى شىء منها حتى لو تكلمت، كما يبدو أننا على وشك تحقيق نصر ها هنا، لقد عرف (ديمترى) الكثير، وأنا أنهيت الاختراع بالنسبة لى.. بعد قليل سنلتقى كلنا فى الشقة، عندك..

يغمغم بهدوء:

- جيد جدًّا، أنا بالانتظار..

أقول منهيًا المكالمة:

- أراك بعد قليل..

أغلق الهاتف وأضعه فى جيبى، أحتسى آخـر رشفة من المانجو.. لقـد أعدّته (ديالا) بشكل يجعله أفضل من كلّ إنتاجات متاجر العصير والكوكتيل!

أفتـح باب الغرفة وأخـرج، (ديالا) أمـام التلفـاز.. أرتدى حذائى وأخبـرها أنه لا بد لى مـن الخـروج، تتذمر قليلاً لكننى أخبرها بحـزم أن هـذا عملى الجديد وعليها أن تتقبله.. أجلس معها بعض الوقـت، أخبرها عـن السيارة الجديدة، وأراقب ملامحها وهى تتحـول مـن الدهشـة إلى الفـرح الشديد عنـدما أخبـرتها عـن استلامى منصـب المشـرف على القسـم التقنى، فى قسـم المخـابرات العلمية الجديد!

أحمل الجهاز فى يدى وأخرج، أهبط إلى سيارتى وأتوجه مباشرة نحو شقة (ديمترى)..

أصعد، يفتح لى (منذر) الباب، نجلس ونتحدث قليلاً، يسألنى وهو ينظر إلى الجهاز:

- هذا هو؟!

أقول وأنا أنظر إليه:

- نعم، لكننا سننتظر (ديمترى) قبل أن نفعل أى شىء..

دقائق معدودة، وأقبل علينا (ديمترى)..

دخل، نظر فى عيوننا، وقبل أن نقول أى كلمة له، اقترب وقال بانتصار:

- صديقى (رياض محمود) هذا أكثر من كنـز هائل، الكتب القديمة التى عنده ثروة حقيقيّة.. لقد أخبرنى بحقيقة كلّ شىء يتعلق بالمرأة التى فعلت هذا!

أقول وقد بلغ الفضول منّى ومن (منذر) مبلغه:

- ما هو هذا الشىء؟! من هى بالضبط؟!

يأخذ نفسًا عميقًا، ينظر فى عيوننا مباشرة، ومن ثمّ يهمس بصوت مخيف عميق:

- إنها من ساحرات المالاكان!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٨- ساحرات المالاكان..

أنظر و(منذر) إلى (ديمترى) فى عدم فهم..

ساحرات المالاكان؟!

ما هذا بالضبط يا (ديمترى)؟!

أنهض، وأجذب كرسيًّا وأضعه أمام (ديمترى)، وأقول له فى حزم:

- اجلس، يجب أن تخبرنا بكلّ شىء..

يجلس (ديمترى)، يفـرك يديه، يبدو الظفر على وجهه.. لماذا أشعر أنك ممتلئ بالمعلومات يا هذا، وهذا بالضبط ما يجعلك سعيدًا إلى هذا الحدّ؟!

ذكّرنى وجهه وانفعاله بالطفل المغرور، الذى يكون فى مرحلة ما من عدم التصديق لوضعه؛ عندما تكون عنده لعبة مميزة جدًّا، ليست عند أحد سواه!

أعيد وأكرر: نحن مجموعة غريبة جدًّا.. غريبة جدًّا..

يقول وعيناه تنتقلان بينى وبين (منذر):

- هذه المرأة باختصار، هى واحدة من ساحرات المالاكان.. لا أعتقـد أنّكم سمعتم بهـذا الاسم قبل الآن، لأننى - شخصيًّا - لم أسمع به إلاّ اليـوم، بل لم أقـرأه وأحفظ تفاصيله - أنا و(فابيو) - إلاّ قبل قليل، وأنا عند هذا الرّجل الرهيب، الثروة، هو وكتبه ومخطوطاته..

نتابع النظر إليه، ويتابع الحديث لنا:

- بعد بحث دقيق فى مجموعة من الكتب التى عنده وجدنا هذه المعلومات عنهنّ.. ساحـرات المالاكان لسـن أكثر من أسطورة قديمة بالية، يبدو أنها تتحقق هذه الأيام معنا، بصورة مختلفة قليلاً عما هو مذكور فى الكتاب..

وسكت قليلاً، ليجدنا منتبهين له بكل حواسنا، وأردف:

ـ.. إنها أسطورة هنديّة قديمة، حيث يحدث موت فى قرية ما، وهُنا يبدأ الخوف المرتبط بالخرافات بالتزايد، هذا الخوف ليس بسبب حكايات الجدات أو بسبب الأرواح العابثة التى يتخيلونها ستعود مثلاً، بل هو خوف مرتبط بتلك الكائنات شبه الطبيعيـة.. الساحرات المتخفيـات، اللواتى يطلق عليهم اسم المالاكان.. هؤلاء نسوة أحياء يمكن معرفتهنّ والحديث إليهنّ فى الحياة العادية، لكن يفترض أنهن يملكن قوة ما، تجعلهنّ غير منظورات لو أردن، كما أنهنّ يستطعن الطيران لمسافات بعيدة فى الهواء، ويقدرن على إرسالِ

رسول من أجسامهنّ.. فى صورتهنّ اللاجسدية تكون هناك قوة غامضة جدًّا، وخبيثة للغاية..

يلتقط نفسًا عميقًا، ويعود لإكمال الحديث:

ـ.. تقول قبائل الساحل الشرقى فى (الهند) إنّ هذه النسوة خطيرات فى البحر أكثر من اليابسة، وكلما كانت هناك عاصفة تتهدّد السفن فإن المالاكان يكنّ هناك فى انتظار فريسة، لهذا لا أحد يحلم برحلة إلى مسافة بعيدة إلى الجنوب مثلاً حتى مجموعة جزر (دونتركاستو)، أو شرقًا إلى (مارشال بنيت)، أو أبعد من ذلك إلى جزيرة (رود لارك)، دون معرفة التعويذة السحرية القوية التى تقضى على هذا الطراز من الساحرات.. حتّى عند بناء زورق بحرى كبير يسمّى (ماساوا) فإنّ التعاويذ يجب أن تتلى عليه لتقليل الخطر من هؤلاء النسوة المخيفات..

عند هذه النقطة نهض، واتجه نحو المطبخ القريب، صبّ لنفسه كأسًا من الماء ونحن ننظر إليه.. هل هذا هو الوقت الأنسب لشرب الماء يا (ديمترى)؟!

لم يهتمّ، بل عاد وجلس ببساطة، مستطردًا:

ـ.. لكنّهن خطيرات فى اليابسة أكثر، حيث يهاجمن الموتى الجدد، وينتزعن الألسنة والعيون، ويفرغن البطن من الأحشاء، ويقمن بطعن القلب بسكين سوداء، هذا لا بدّ منه كى تكتمل طقوس الإحياء الخاصة بهم..

إحياء؟!

إحياء ماذا؟!

أو إحياء من بالضبط؛ يا (ديمترى)؟!

أفكّر بهذا، بينما هو نظر فى عينى وعينى (منذر)، وتمتم:

ـ.. ساحرات المالاكان يمتلكن غرائز وحشيّة، إنهنّ لا يهاجمن الأحياء فهذا ليس بمقدورهنّ قبل الجثة السابعة على الأقلّ، كلّ هذه مجرد طقوس، السكاكين والتمزيق والعيون والألسنة، كلّها طقوس للوصول إلى الجثة السابعة، وبعدها يبدأن بالهجوم على بعض الأحياء المختارين.. هذه هى المرحلة الثانية من الطقوس بالطبع، لأنّ مرحلة الإحياء تأتى بعد هذا مباشرة!

يصمت، ويهمّ بقول شىء جديد، لولا هتافى بعصبيّة:

- عن أى إحياء تتحدّث؟!

يجيبنى:

- الطقوس تتم على مرحلتين يا (سامر).. المرحلة الأولى تتلخص بتشويه سبع جثث لموتى جدد كما هى بعض الجثث التى عندنا هنا، والمرحلة الثانية تتلخص فى قتل سبع أشخاص.. بعدها يكون الأمر جاهزًا لاستقبال الدراجو!

أستغرب الاسم، وأعيده باستنكار:

- الدراجو؟!

يهزّ (ديمترى) رأسه:

- نعم، الدراجو.. الروح الكبيرة.. هذه واحدة من سيدات المالاكان الكبار، وعمرها قد تجاوز ألف سنة، ولا شكَّ أنّ الوقت قد حان لاستدعائها.. بالمناسبة، ترتبط المالاكان ارتباطًا وثيقًا برائحة الجيفة، الهنود يؤكدون هذا وخصوصًا فى اليابسة، عندما يكونون فى خطر، يفزعون بوضوح من رائحة الجيفة التى تعتبر علامة على أنّ الساحرات هُناك.. كان لا بدّ أن أقول هذه المعلومة قبل أن أنسى!

يقول (منذر):

- ما العلامة الكونيـة التى جعـلت هـذه السـاحرة - التى لا تعرف أنّها ساحرة - تصحو من غيبوبتها البشرية، وتعود إلى حالتها الطبيعيّة وشكلها الحقيقى؟!

كان هذا سؤالاً ذكيًّا من (منذر)، المشكلة أنه لم يكن هناك جواب جاهز عند (ديمترى)، الذى قال:

- لا أدرى.. ربما كان حافزًا غير كونى هذه المرّة!

أفكّر فى الموضوع قليلاً.. هُناك كمّ هائل من المعلومات التى استقاها (ديمترى) من (رياض) وألقاها على مسامعنا، لكنّ المشكلة أننى فى حاجة إلى المزيد..

أقول:

- هل هذا كلّ ما عرفته يا (ديمترى)؟!

يلتفت إلى، يحكّ رأسه ويفكّر قليلاً، يقول بكلّ حماس:

- لا، هناك المزيد طبعًا.. هذه الدراجو تمكث حاليًا فى مكان يدعى (جراشى)، وهو اسم لجزيرة تحتضن الكثير من الموتى والأرواح الكبيرة فى المحيط الهندى.. الدراجو وبسبب تعويذة معيّنة تمّ ربطها بحجر بركانى أسود اللون اسمه (موداوزى)، وستظلّ فيه مربوطة إلى الأبد، لا تفعل شيئًا سوى المكوث مكانها، وإصدار النواح المستمر الذى يفسره بعض البحارة ليلاً على أنه صفير الريح أو ما شابه، من التفسيرات الطبيعية.. فى الحقيقة هو نواح

لأنّ مصير هذه الرّوح هو الحرق فى مأتم جنائزى كبير سيقام لها فى العالم الآخر، اسمه (إيوالا)، بعد ألف عام، وهذا بعد مرورها من خلال بئر أحمر اللون كريه الرائحة يقال له (جلالا).. سيّد هذه الجزيرة كما ورد فى الكتب اسمه (توبليتا)، وهو كيان يحكم السيطرة على كلّ الأرواح الكبيرة الخائنة التى فيه!

رباه!

يا ليتنى لم أسـأل يا (ديمترى)! ماذا أفعـل بكلّ هذه المعلومات الجديدة الآن؟!

أحاول تصفية ذهنى، وأنا أقول له:

- أستنتج من هذا يا (ديمترى)، وبناءً على الأسطورة؛ أنه ما لم تحصل طقـوس الإحياء هـذه، وما لم تقم ساحرة المالاكان الموجودة فى مدينتنا حاليًا بممارسة التشويه، والانتقال إلى قتل الأشخاص السبعة من أجل الانتقال إلى المرحلة الأخيرة؛ ستحصل كلّ هذه الأمور الغريبة التى ذكرتها آنفًا؟!

يهزّ رأسه إيجابًا:

- بالضبط يا عزيزى.. بالضبط..

أتراجع فى مقعدى، هل يمكن أن يكون هذا حقيقيًّا؟!

أكاد لا أصدق حرفًا من كلّ ما سمعت، وخصوصًا الأجزاء المتعلقة بالجزيرة.. تبدو لى هـذه الأمـور أشبه بأساطير أكل عليها الدّهر وشرب.. ما يهمنى الآن هو الأجزاء الأولى، فمعنى هذا أنّ هناك المزيد من التشويه سيحدث، وأن هناك قتلاً سيبدأ، وهذا مما لا يمكن لنا أن نسمح فيه ألبتة!

يسأل (منذر):

- وهل عرفت التعويذة يا (ديمترى)؟!

يسارع بإخراج ورقة بيضاء تمّ انتزاعها من دفتر، وتمت كتابة كلمات التعويذة فوقها:

- نعم، ها هى..

يأخذها (منذر)، ويبدأ القراءة بصوت مرتفع:

- مالاكان ليغوز نايوز هوسا هوسا.. هيكوز سايوز بورين هوسا هوسا.. كيلافاسى لوكولابوتا مالاسى لوكومبا هوسا.. مامونجا لوكواسيسجا.. مامونجا لوكواسيسجا!

أنظر إلى (منذر) بعد أن انتهى، وأقول بصوت مسموع:

- هراء!

يلتفت إلى (ديمترى) بحدّة:

- هراء أو حقيقة، هذا ليس مهمًّا؛ يكفى أنّ هذا هو الشىء الوحيد الذى نملكه بشأن هذه المسألة!

أحاول تغيير مجرى الحديث:

- ماذا سيحدث بعد أن يتمّ استدعاء الدراجو؟!

يصمت (ديمترى) وكأنه كان يتوقع السؤال، يلتفت (منذر) بكلّ اهتمام مصغيًا، ويتناول الورقة ويذهب بها إلى آلة تصوير مستندات قريبة.. ويجيبنى عاشق البوم:

- ستخرج من الجزيرة، وستحلّ فى جسد الساحرة التى ساعدتها على المجيء، وستبدأ مهمتها فى فتح باب يطلّ على عالم المالاكان، و...

أقاطعه فى دهشة واستنكار شديدين، أكثر من أى مرة سابقة لى معه على الإطلاق:

- عالم المالاكان؟!

يقول:

- نعم، عالم المالاكان يا (سامر)، إنه فى بقعة ما من العالم الآخر، وفيه كلّ ساحرات المالاكان الخالدات فى حالة من الجمود والثبات.. هكذا تقول الأسطورة، كما تقول إن الدراجو إن فتحت البوابة سيفد إلى هذه الأرض الكثير جدًّا من أشباهها، وستبدأ هؤلاء الساحرات بامتصاص أرواح كلّ البشر، للتحول إلى كيانات مشتعلة بالحياة والشباب والحرية، وكى يعشن فى عالم خاص بهنّ وحدهنّ، يفعلن به ما يرغبن دون أن يحاسبهنّ أحد!

أقول فى لا مبالاة:

- لا أصدّق هذا..

وأنهض من مقعـدى، وأتوجه نحـو جهاز التعقب الذى اخترعته، والموضوع على الطاولة القريبة، متجاهلاً أى جواب أو تعليق من (ديمترى)، قائلاً:

ـ.. أصدّق هذا يا (ديمترى)، تعال وانظر..

يقترب (ديمترى) دون أن يعلق فعلاً، أبدأ بشرح الجهاز له، ويبدأ هو بسؤالى عدة أسئلة علمية فضولية كالعادة.. يثيره دومًا أن أخترع شيئًا جديدًا، كما يحدث بالضبط حين تكون الأدوار معكوسة بيننا.. (منذر) فى هذه الأثناء كان

قد اكتفى من كلّ هذا الحوار، واتجه إلى القفص الذى فيه البطريق، كالمعتاد، بعد أن ناولنى نسخة من التعويذة، دسستها فى جيبى بلا مبالاة!

يسألنى (ديمترى):

- وما الذى تحتاجه الآن؟!

أجيبه فى حماس:

- أقوى مصدر طاقة لديك..

يتجه إلى خزانة جانبية، يعبث بها قليلاً، يعود ومعه قطعة غير واضحة المعالم والملامح، بحجم كف يده، وقد خرج منها سلك واحد يتيم.. يوصله دون كلمة واحدة بجهاز التعقب!

- وما هذا أيضًا؟!

تبرق عيناه:

- إنه محرك نووى مصغر!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أنظر إليه فى ذهول..

لا شكّ أنه يمزح!

هل هو مجنـون ليحتفظ بشىء كهـذا فى مختبره، لو كان صادقًا فعلاً كما يقول؟!

يقول لى:

ـ.. لا تقلق، إنه مجرّب وآمن تمامًا، ليس هناك أى خطر منه، كما أننى رتبت إجراءات السلامة منه مع (فابيو).. لن يحدث شىء خطر أبدًا..

يتكلم عن إجراءات سلامة، من محرك نووى مصغر؛ وكأنه يتحدث عن الحذر من التدخين مثلاً!

لكنّنى أثق به، المشكلة أننى أثق به.. هو أولاً وأخيرًا عالم كبير فى مجاله وتخصصه، من أنا لأعارضه فى شىء كهذا؟!

يمسك الجهاز فى يده، ينظر إلى شاشته التى أخذتها من حاسوب قديم صغير الحجم، يمد يده إلى زر التشغيل، ويضغطه..

تضاء الشاشة فجأة، يبدأ مؤشر ما بالتقافز فى جنون على الشاشة!

- هذا جهازك أنت، هل هذا طبيعى؟!

يقول (ديمترى)، ويقترب (منذر) كى يرى الشاشة معنا، وأقول أنا محاولاً طمأنتهما:

- نعم، الفكرة فقط أن الجهاز كان يتوقع مصدر طاقة قوى جدًّا ولكن ليس إلى حد الطاقة النووية! المحول الذى فى داخله يقوم بتحويل الطاقة إلى شىء تستوعبه قدرات الجهاز..

بعد ثوانٍ، هدأ المؤشر، وبدأت ترتسم خريطة على الشاشة، خريطة لا أعتقد أن (ديمترى) و(منذر) سيفهمان شيئًا فيها، فأنا صممتها بسرعة، وأنا من سيفهمها..

ثوانٍ أخرى مرت، قبل أن تبدأ معالم الخريطة بالظهور بشكل واضح جدًّا بالنسبة لى، ويهدأ الجهاز..

يا إلهى! هل هذا معقول؟!

ينظران لى فى تساؤل واستفسار، لكن الدهشة تغمرنى، بل هو الذهول بالأحرى، ممتزجًا بالصدمة..

ألتفت إليهما بوجه ممتقع:

- الساحرة..

- ما بها؟!

- إنها فى منطقتى!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٩- منطقتـى..

دقيقة كاملة من الصمت مرت، قطعها (ديمترى) بقوله، محاولاً أن يستوعب:

- منطقتك؟! ماذا تقصد؟!

أقول بذات الوجه الممتقع:

- أقصد أن الجهاز قادر على تحديد الشخص الذى نبحث عنه من خلال أثره؛ فى مساحة نصف قطرها كيلومتر كامل.. ومن خلال الخريطة فأنا أجد أن البناية التى أقيم فيها تتوسط هذه المساحة بالضبط!

يعقـد (منذر) حاجبيه، ويبـدو التوتر واضحًا على ملامح ووجه (ديمترى)، الذى قال بعد صمت:

- هل أنت متأكد؟!

أقول دون أن أنظر إليه:

- جدًّا، نسبة الخطأ فى هذا الجهاز قليلة للغاية، أعلم أننى اخترعته للتوّ، لكننى متأكد مما فعلت..

يقول (منذر) وهو يقترب منى، ويربت على كتفى:

- ربما ليس الأمر كما تظن يا (سامر).. ربما الجهاز التقط إشارة الساحرة وقد مرت صدفة من هذه المساحة، كما لا تنسى أن الكيلومتر مساحة ليست ضئيلة، إن فيها عددًا كبيرًا من البنايات، ربما فيها سوق أو مجمع تجارى كذلك..

ساحرة فى سوق أو مجمع تجارى؟!

هل تهذى يا (منذر)؟!

لا أعلق على رأيه وكلامه.. ويقول (ديمترى):

- بالفعل يا (سامر)، هذا لا يعنى شيئًا، إنـ...

أهتف مقاطعًا:

- بل يعنى يا (ديمترى)، بل يعنى..

قلتها ورميت جسدى على مقعد قريب، مستطردًا:

ـ.. الجهاز يستطيع التقاط صاحب الأثر، إلى حدّ ساعة ماضية فقط.. أى أنّ صاحبة هذا الأثر، الساحرة، المالاكان كما كنت تقول قبل قليـل؛ مرّت فى هـذا الكيلومتر خلال ساعة أو أقلّ؛ أو أنها لا تزال فيه حتّى الآن..

يدوم الصمت بعد عبارتى لهنيهة، ويسأل (منذر):

- وما الذى تقترح أن نفعله؟!

أنهض من مكانى، وأجيبه سؤاله بلهجة آمرة، بكلّ ثقة:

- اتصل مع كلّ من تعرف من الشرطة والجيش والمخابرات، نريد حصارًا كاملاً حول هذا الكيلومتر، أتعرف؟! اجعلهما كيلومترين، هذا أفضل.. نريد تفتيشًا دقيقًا لكل بيت، لكل بقالة وزاوية وركن فى الشارع.. نريد فريقًا كبيرًا هائل العدد من المختصين الأكفـاء، الأمر لا يتعلق بجثث مشوهة فحسب؛ الأمر يتعلق بسبعة أشخاص سيموتون خلال الأسبوع القادم، وبعالم كامل ربما يتعرض لخطر كبير غير مسبوق ولا متوقّع.. عندما لا يتبقى أمامنا من الحقائق سوى أسطورة، فمن الأجدر بنا أن نأخذ بها كمسلّمة دون تردد!

ألتفت بعد هذه التعليمات نحو (ديمترى)، وأقول:

ـ.. وأنت يا (ديمترى)، اتّصل مع القسم الجديد للمخابرات العلمية، دعهم يعملون كما يجب فى أوّل يوم لهم.. دعهم يحضرون جميعًا، حتى العميد، نريد حصارًا مدهشًا يتكلم عنه الناس ووسائل الإعلام لوقت طويل، لا نريد أن نترك لهذه الساحرة أى ثغرة!

كنت أتكلم بكلّ حماس.. الأمر حقًّا لا يتعلق بى أو بأن الأمر صار محصورًا بالمنطقة التى فيها عائلتى فحسب، إنه شىء سيعانى منه كوكبنا كله لو كانت الأسطورة صحيحة، ولو لم نجد ساحرة المالاكان اللعينة هذه فى الوقت المناسب!

يبتعد (منذر) قليلاً ليجرى اتصالاته مع الجهات الأمنية بلا استثناء، ويرفع (ديمترى) هاتفه بالفعل، لولا أنه رآنى أتوجه نحو باب الشقة، مغادرًا، مما جعله يسأل:

- وأنت يا (سامر).. إلى أين؟!

أقول دون أن ألتفت:

- أنا سأذهب كى أطمئن أسرتى، لا أريدهم أن يموتوا من الرعب بعد قليل!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أخرج من الشقة وأتوجه مباشرة نحو سيارتى الجديدة، وأنطلق بها نحو البيت..

خلال ساعة أو ساعة ونصف كحدّ أقصى سيمتلئ المكان برجال الشرطة والجيش، وسيتمّ فرض حظر التجوال.. لن يدخل أحد إلى المنطقة ولن يغادرها أى شخص كذلك..

أنتبه وأنا أقود أن السيارة أكثر من ممتازة فعلاً، من الجيد أن رجال المخابرات قاموا بنقل كلّ أدواتى الخاصة التى كانت بسيارتى القديمة إليها.. أشعر أن الأمر أشبه بعملية نقل روح من جسد إلى آخر، أو من سيارة إلى أخرى فى هذه الحالة!

هذه السيارة الجديدة فيها روح سيارتى القديمة، باختصار..

أصل إلى البيت، الساعة تجاوزت الخامسة بعد العصر الآن.. أنزل من السيارة وأغلقها، أصعد على الدرج بسرعة.. و...

هذه الرائحة!

إنها لعينة مزعجة، وقاتلة فعلاً..

رباه! لم تفعلى شيئًا بعد بشأنها يا مدام (سو)؟!

تبًّا لكِ! تبًّا لكِ!

أهمّ بالصعود إلى البيت لتهوين الأمر على (ديالا) و(كريم) وتجاهل أمر الرائحة قليلاً؛ لولا أن برقت فى ذهنى عدّة أمور بنفس الوقت..

أن لا ترى أبعد من قدميك؛ هذا هو العمى الحقيقى!

أرفع هاتفى، وأهبط عـدة درجات نحـو الأسفل فى بطء، لا يجيبنى (منذر).. أتصل من جديد فيرد وهو يسعل، أباغته بسؤال غاضب:

- أين كنت؟!

يجيب بحرج:

- فى الحمام.. نداء الطبيعة كما تعلم!

أسأله فى حزم، متحاشيًا أن يكون كلامى بصوت مرتفع:

- هل أجريت اتصالاتك؟!

يسارع ويقول:

- بالتأكيد.. اتصلت بالجميع! مع الشرطة والجيش والمخابرات والقوات الخاصة، هم رتّبوا الأمر مع مجموعة من الخبراء من عندهم.. سيفتشون كلّ شىء بالتفصيل، لن تستطيع ذبابة الفرار أو الدخول!

أقول فى خجل - ليس هذا وقته ألبتة ـ:

- حسنًا، عليك أن تتصل بهم من جديد، وتخبرهم أن المهمة ألغيت.. أخبر (ديمترى) بهذا أيضًا!

ينفجر صوته بأذنى فى استنكار:

- ماذا تقول؟!

أهمس:

- اخفض صوتك.. أخبرهم أن المهمة ألغيت وكفى!

أسمع صوت (ديمترى) يقترب منه، ويسأله:

- ماذا هناك؟!

أسمع صوت (منذر) يجيبه بحنق:

- إنه يطلب منى ومنك أن نتصل بكل الجهات التى تكلمنا معها ونخبرهم أن المهمة ألغيت!

يختطف (ديمترى) الهاتف منه، يصرخ فى أذنى هو الآخر:

- هل جننت يا (سامر)؟! ما الذى تفعله بالضبط؟!

أهمس بهدوء، محاولاً قدر استطاعتى ألا يرتفع صوتى، هابطًا المزيد من الدرجات نحو الأسفل:

- أريد منك أن تلغى المهمة يا (ديمترى).. لسنا بحاجة إلى كلّ هذه الضجّة التى لن تفيدنا بشىء..

يسألنى:

- لماذا؟! وكيف ستجدها إذًا؟!

أجيبه:

- لقد عرفت من هى، دون أن أبحث!

يسود صمت على الجهة الأخرى من الهاتف.. لا شكّ أنهما لم يتوقعا منى هذه العبارة الأخيرة الصادمة..

يسألنى (ديمترى):

- ومن هى؟!

أقول هامسًا، رافعًا رأسى وناظرًا إلى الباب الخشبى الذى يبعد عنّى عدة أمتار، هُناك:

- إنها (سو).. جارتى!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

١٠- مع (سو) من جديد..

كيف لم أربط الأمور بهذا الشكل من قبل؟!

يسألنى (ديمترى) محاولاً التأكّد مما سمع:

- ماذا تقول يا (سامر)؟!

أهمس:

- أقول الذى سمعته يا (ديمترى) بالضبط.. ساحرة المالاكان المخيفة والّتى فعلت كلّ هذا هى جارتى (سو).. لم أشكّ فيها من قبل لكنّنى عندما شممت الرائحة الكريهة الآن تذكرت، لقد ربطت الأمور كلها فى ذهنى مرة واحدة!

يسألنى فى اهتمام:

- كيف؟!

أسأله أولاً قبل أن أجيبه:

- هل اتصل (منذر) بالجميع وأخبرهم أن المهمة ألغيت؟!

يجيبنى:

- نعم، إنه يفعل هذا الآن.. أخبرنى الآن يا (سامر)، كيف عرفت أنها هى؟!

أقول له، محاولاً أن أكون دقيقًا كما ينبغى:

- الرائحة الكريهة فى البناية لا يشمها أحد كما يجب إلاّ إن مرّ من أمام باب هذه الجارة بالذات.. الرائحة أشبه برائحة جثث، أو جيفة.. جيفة بالذات.. هذه هى الرائحة بالفعل، كما أخبرتنا أنت، نقلاً عن صديقك (رياض).. كما أننى انتبهت إلى عدة أمور أخرى؛ فلقد فتحت لى الباب صباح اليوم، وكانت تتكلم معى بطريقة غريبة، ولم أنس ملامحها بعد..

يسألنى:

- هل كانت مختلفة عن المعتاد؟!

أجيبه وأنا أتذكر كيف كانت مختلفة جدًّا:

- حتى أقصى حد يا (ديمترى).. حتى أقصى حدّ.. كانت أشبه بعجوز شمطاء قبيحة ممن نراهنّ فى القصص المصوّرة وأفلام الرسوم المتحركة الخاصة

بالأطفال.. ملامح ساحرة شمطاء! وكان يظهر من تحت غطاء رأسها شىء من شعرها الرمادى، وكانت ترتدى عباءة سوداء..

يصمت قليلاً، قبل أن يلفت انتباهى إلى نقطة مهمة، ربما تهدم كلّ استنتاجى:

- هل هى هنديّة؟!

أصمت بدورى بعد سؤاله.. ما أعرفه عنها أنها رومانية، يعرف الكل أنها أرملة رومانية تعيش هنا منذ عامين.. أفكّر وأتذكّر كل موقف لنا معها، فعليًّا نحن لم نرها مرة واحدة تتكلم بالرومانية، ولم نر أى ورقة تثبت هذا، ولم نر زوجها أصلاً، ولم نحادثه قبل موته..

(سـو) هنا منذ عامين فحسب، وعندما التقيناها أول مرة، قالت بأسى:

- العزيز (سى دنتيسيوس)، قتله بعض الرعاع الأوغاد قبل عام، هاجموه فى الظلام ومزقوه من أجل المال! الأوغاد!

وصارت تبكى فجأة!

كان فى يدها وقتها صورة لها معه.. الآن أتذكر، هو رجل أسمر البشرة، ملامحه تشبه العرب كثيرًا..

أقول:

- كلا يا (ديمترى)، فى الحقيقة لا يوجد أى دليل على أنها رومانية سوى ما قالت فحسب.. لا يوجد أى شىء آخر!

يسألنى فى اهتمام:

- حسنًا، ولكن تبقى هناك نقطة واحدة يا (سامر)، وهى مهمة للغاية..

أسأل:

- وما هى؟!

يجيبنى، ويوترنى بجوابه:

- الحافز.. ما هو الحافز الذى جعلها تستيقظ من بشريتها إذًا يا (سامر)؟! ما دام لم يحدث أى حدث كونى؟! وما دام لم نقرأ أو نسمع عن أى شىء؟!

أقول، وأنا أفكّر فى هذه الأمر:

- حسنًا، ربما.. وربما (منذر) أخطأ ولم يعر أحد الأحداث أى اهتمام مثلاً.. لا تنس أيضًا أنّه من المحتمل أن يكون الحافز خارجيًّا يا (ديمترى) كما أخبرتنا؛ تعويذة ما، أو مشهد معين، أو إشارة خاصة سيدركها عقلها الباطن..

يصمت قليـلاً، وأصمت بدورى.. من الجيـد أنه لم يصعد أو ينزل أحد من البناية، وإلا أثار الأمر استغرابه على الأقلّ!

يسألنى:

- ماذا ستفعل الآن؟! هل ستنتظر مجيئى أنا و(منذر)؟! أم أنك ستتصرف من تلقاء نفسك؟! لقد ألغينا المهمة مع الأجهزة الأمنية كاملة، وها هو (منذر) يتكلم الآن مع العميد (مراد) ليبرر له الأمر.. أخبرنى، ماذا ستفعل؟!

أفكر لوهلة، قبل أن أجيب:

- أسمع، سأحاول أن أباغتها، هى أولاً وأخيرًا ساحرة كبيرة السنّ، ولا تهاجم الأحياء.. أليس كذلك؟! سأحاول أن أقوم بأى شىء إلى أن تأتوا..

يقول:

- حسنًا، سنأتى بعد قليل.. سنطلب من الشرطة إرسال سيارة لنا، يبدو أن سيارة (منذر) معطّلة! على كلّ حال؛ كن حذرًا، ولا تنسَ أنها خطيرة..

أضحك فى سرى، وأقول باستخفاف:

- إنها مجرد امرأة يا (ديمترى)..

يقول محذرًا:

- هى مجرد امرأة، لكنّها ساحرة يا (سامر)، ساحرة.. والعبث مع الساحرات ليس سهلاً أبدًا!

أنهى المكالمة معه، وأصعد الدرج.. هل من الجيد أن أصعد إلى البيت أولاً لأحذّر (ديالا)؟!

أحذّرها من ماذا بالضّبط؟!

ما بك يا (سامر)؟!

كُن شجاعًا أكثر!

إن أخبرت (ديالا) الآن بأى شىء فلا شكّ أننى سأثير قلقها، كما لا بدّ من أنها ستجنّ إن عرفت أن الشخص المجنون الذى يشوه الجثث والذى يعد العدّة لتدمير هذا العالم هو جارتها.. جارتها اللطيفة البريئة الأرملة (سو)، الهندية، وليست الرومانية كما تدّعى!

أصعد بعض الدّرجات، وأقف أمام باب شقّتها..

قلبى يدقّ!

هل هذا هو التوتّر كما يصفونه؟!

أحاول ألاّ أفكّر بأى شىء فى هـذه اللحظة، سـوى بأننى واجهت أمورًا أكبر من مجرد ساحرة عجوز لا تهاجم أحدًا فى النهار، ولا تهاجم - أصلاً - أى أحد سوى الجثث!

لكن؛ ماذا لو كنا مخطئين؟!

أهزّ رأسى وأطرد أى خواطر طارئة، وأمدّ يدًا شبه مرتجفة نحو الباب، وأدقّ مرتين..

تمر بعض الثوانى وكأنها دهر كامل، قبل أن يأتينى صوتها من خلف الباب، كالفحيح، وفى تعب:

- من؟!

أقول، وأنا أحاول التنفس بقوة، دون صوت:

- إنه أنا من جديد يا مدام (سو).. يجب أن نتكلّم!

تسألنى بحذر:

- عن الرائحة من جديد؟!

أقول، ودقات قلبى تعلو دون أن أدرى سببًا منطقيًّا لهذا:

- لا.. وأرجو أن تفتحى الباب، أريد أن نتكلم قليلاً..

تمر ثوانٍ، وتفتح الباب..

أنظر فى وجهها، أحدق بها.. ترى هل أنا على حقّ؟! هل فعلاً هى ساحرة المالاكان المنشودة؟! هل جارتى هذه هى التى فعلت كلّ تلك الأشياء المقززة بالجثث؟!

تسأل، وقد فتحت جزءًا يسيرًا من الباب:

- ماذا هناك يا (سامر)؟!

حدّقت بوجهها، ولم أفكّر بأى شىء، ولم أتخيّل رد فعلها كيف سيكون، كلّ ما فعلته هو أنّنى قلت كلمة واحدة:

- مالاكان!

قلتها بغتة، هكذا، وأنا أنظر فى عينيها بكلّ ثقة وقوّة، محاولاً إخفاء بركان المشاعر المتناقضة العجيبة الذى انفجر فى داخلى..

قلتها بغتة، ليتوقف الزمن قليلاً، ويسود بعض الصمت، وينعقد حاجباها الرفيعين بكل دهشة وذهول، وتشدّ على أسنانها بقوّة وغضب وحدّة، ولأحسّ فجأة بتلك القبضة غير المرئية، التى لم أرها، والتى اندفعت من مكان مجهول، لتلكمنى فى ذقنى مباشرة بقوة شديدة للغاية، ألقت بى مترين كاملين إلى الخلف..

سقطت على ظهرى متألمًا، وكلّ عظمة من جسدى تصرخ، وتئن، قبل أن أشعر بأننى أدوخ، وأفقد تركيزى ورؤيتى، وأهبط فى بئر عميق بلا قرار..

.. وأفقد الوعى!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

١١- الحــافـز..

الصمت التام، والضوء الخافت الذى يبدد القليل جدًّا من هذا الظلام الذى يحيط بالمكان الذى أنا فيه..

هذا ما كنت أسمعه وأراه - لو كان لى أن أقول هذا - وأنا أفتـح عينى بصعوبة بالغـة، وببطء؛ محاولاً تمييز الألوان والأصوات والأشكال من حولى..

أنا فى شقة (سو)، نعم، لم أدخلها سوى مرة واحدة، عندما سكنت قبل عامين، لكننى أستطيع تمييزها.. نعم، هذه شقتها..

أفتح عينى وقد بدأت أعتاد العتمة، من الجيد أن بؤبو العين يحتاج أقل قدر من الضوء كى يرى..

أنا مقيّد!

أنا مربوط فى كرسى، وذراعى خلفى طبعًا، وأمامى جلست ساحرة المالاكان (سو)، تنظر لى..

يبدو أنها كانت تنتظر أن أفيق!

ترى كم مرّ على وأنا فاقد الوعى؟!

أنظر فى عينيها مباشرة:

- إنها أنتِ إذًا..

تتجاهلنى فى لا مبالاة مستفزّة.. أرمقها بحقد؛ رباه كم تبدو مختلفة! كأنها نسخة جديدة من (سو) التى أعرفها!

ـ.. كم بقيت فاقدًا وعيى؟!

تفتح فمها وتجيب:

- عشر دقائق!

استغربت جدًّا.. هل هذا حقيقى؟!

جيد.. بل أكثر من جيّد..

تنهض من مكانها وتقترب من وجهى.. رائحة أنفاسها تكاد تخنقنى، رائحة كريهة مزعجة مقززة هى.. ترى هل كل رائحة الجيفة تلك كانت منها، أم من شىء فى منزلها؟!

تقول لى بهدوء، استشعرت من تحته محيطًا متلاطمًا من العصبية والغضب والحدّة والقلق:

- كيف عرفت؟!

لا شكّ أن الأمر يكاد يصيبها بالجنون!

سؤالها زاد من ثقتى بنفسى، أشعرنى لوهلة أننى فى مركز قوة.. نظرت حولى ثم نظرت لها، وقلت:

- العصفورة أخبرتنى!

انقلبت ملامحها بغتة إلى ملامح شيطانية، وجحظت عيناها بشكل مخيف غريب، واندفع من حلقها صوت أشبه بصوت عشرات الطيور المحلقة، قبل أن تصفعنى على وجهى بأقصى قوتها صارخة:

- كيف عرفت؟!

دون أن أرى وجهى الآن؛ لا شكّ أن نصفه الأيمن أصبح فى غاية الاحمرار..

كم هذا مهين!

أنظر إليها فى قلق.. تبدو مجنونة تمامًا، كما أن ملامحها التى انقلبت وصارت مخيفة، وذلك الصوت الحلقى الرهيب؛ هذا جعل قلبى يرتجف من الداخل!

يجب أن أكون ذكيًّا..

أقول بسرعة محاذرًا أن أستفزها أكثر:

- قرأت، عرفت هذا من أحد الأصدقاء عندما شككت بأمرك وحاولت ربط الأمور ببعضها البعض..

تتراجع خطوة إلى الخلف، تسأل فى حذر:

- هل أنت مع الشرطة؟!

أبتسم رغمًا عنى، هى رغم كلّ شىء تخاف أن يكتشف أمرها سواى.. هى قلقة!

أقول:

- كلا، ولكننى سمعت عن الأحداث التى حصلت، وقررت أن أتحقق من الأمر..

تنظر لى فى شك.. هى حتمًا تعرف أننى أكذب عليها، ولكن لا بدّ لى من استعمال هذه الحيلة، لعلى أصل إلى حلّ معها..

أسألها بغتة:

- ما سرّ رائحة الجيفة هذه؟!

تجيب ببساطة:

- إنها علامة على وجودنا، لا توجد أى جثث هنا.. هى فقط علامة أننا هنا، فى هذه المنطقة..

تقولها وتبتعد قليلاً عنى، تجلس، وتستطرد بهدوء تام، وبلهجة تقريرية:

ـ.. وجودك هنا ليس أكثر من ورطة بالنسبة لى!

أبتسم بسخرية غير مناسبة، وأقول:

- أعرف، أحيانًا يكون تأثيرى على النساء مدمرًا!

تتجاهل قولى، وتقول كأنها تحدث نفسها:

ـ.. كان يجب أن يمر الأمر على ما يرام.. هى سبع جثث فى المرة الأولى، وبعدها سبعة أشخاص سيتم قتلهم وتحويلهم إلى جثث فى المرة الثانية!

تقولها وتصمت، وأنا أنظر فى ذهول..

كنتما صادقين إذًا يا (رياض) و(ديمترى)!

كنتما صادقين حقًّا، وأنا كالأحمق رفضت أن أصدّق شيئًا مما وجدتماه فى الكتب..

تكمل:

ـ.. المشكلة أنّك أتيت إلى هنا بقدميك، والمشكلة أنه بقيت لنا جثة أخيرة، وبعدها سيبدأ القتل..

أنظر لها دون أن أعلق، يجب أن أعرف كل ملامح خطتها القادمة.. تردف وهى تنظر لى:

ـ.. لكن ليس هناك أى مشكلة، لقد جئت إلينا.. ربما تريد أن تكون أول جثة نقتلها!

أصمت قليلاً وأنا أفكر بقولها.. أسألها بغتة:

- لم تكونى يومًا هكذا، كنت أعرفك.. كنا نعرفك، دومًا كنت هادئة وبعيدة عن أى نوع من المصائب والكوارث.. والآن تريدين تهيئة عالمنا للتدمير؟!

تضيق عينيها وتتفرس بى، وتقول:

- يبدو أنك تعرف الكثير..

تنهض وتقترب منى، وتكاد تقتلنى بهذه الرائحة، وتقول:

ـ.. لم أكن أعرف أنى هكذا يا بنى، كنت مغيبة تمامًا ولم أكن مدركة لماهية وجودى فى هذه الحياة.. الآن عرفت، الآن أدركت السبب..

أسألها ما كان يجب أن أعرفه من البداية:

- ولكن كيف؟! كيف حدث هذا؟!

تبتسم:

- تسألنى عن السبب الذى جعلنى هكذا، عـن الحافز الذى أعـادنى لطبيعتى، أو بالأحـرى: الذى ذهـب بى إلى حيث طبيعتى.. أليس كذلك؟!

بالضبط.. هذا ما أفكر به الآن!

بما أنه لم تحدث أى حوادث كونية، ولم يحدث أى شىء يجعلها تصبح ما هى عليه فى هذه اللحظات؛ فما السبب؟!

ما الحافز؟!

أجيب بكل فضول الدنيا:

- نعم.. ما هو الحافز؟!

لم تقل لى: سأحضره..

لم تقل لى: سأخبرك عنه..

لم تقل لى: سأريك إياه..

فقط نظرت إلى يمينها بطرف عينها، إلى المقعد الذى يبعد عدة أمتار عنا، وقالت:

- سأعرفك عليه!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

١٢- هناك ساحرة أخرى..

قالتها لتتفجر كل الحيرة التى فى العالم، بأعماقى..

قالتها، ونظرت لها فى عدم فهم، وتساؤل، قبل أن يظهر الجواب، دون أن تحرك شفاهها..

إذ فجأة؛ تماوج ذلك الفراغ الذى يعلو المقعد الذى نظرت إليه بطرف عينها، وبدأت تظهر تفاصيل بشرية..

أو شبه بشرية!

هُناك كانت تجلس أقبح امرأة أراها فى حياتى.. أقبح ساحرة لو أردنا الحقيقة..

كانت مثـل (سـو) ترتدى السـواد الكامل، لكن لم يكن بملامحها أى شىء مألوف.. ضخمة الجثة، يبدو من تفاصيلها أنها طويلة القامة جدًّا، عريضة البدن والأكتاف.. أنفها كبير، بعينيها حدة مخيفة، وحاجباها كثان.. هناك غلظة رهيبة فى كلّ ركن من وجهها.. يداها معروقتان حتى أقصى حدّ!

وكان فى فمها أنياب.. نعم، أنياب، ألمحهما من هنا.. أكاد أقسم على هذا، ابتسامتها الصفراء القذرة تظهر هذا بوضوح، ربما هى لم تبتسم إلاّ لأجل هذا..

- بسم الله الرحمن الرحيم..

أقولها فلا يبدو عليها الفهم، تبقى جالسة مكانها، تنظر (سو) لها، ومن ثم لى:

- اسمح لى أن أعرفك على (بادوا)، إنها ساحرة المالاكان الموكلة بإيقاظ المالاكان النائمين.. إنها تنتظر منذ زمن طويل جدًّا يا (سامر).. لكن الأمر جاءها قبل أيام عبر رسالة روحية خاصة أتتها من (جراشى) - جزيرة الموتى - تأمرها بأن تأتى وتوقظنى، وأن تحضر معها كل عدة الطقوس.. بالمناسبة؛ تلك السكاكين السوداء مصنوعة من شجرة اسمها (اللوانجو)، وهى شجرة ضخمة جدًّا ولها جذع من معدن!

أسمعها وأفكّر بنفس الوقت..

لا أصدق هذا، الأمر ليس هكذا حتمًا، هناك تفاصيل حقيقية وتفاصيل مكذوبة فيما تقول.. عندى بعض القناعات الدينية الثابتة التى لن أغيرها أبدًا؛ فهل تأتى هذه الساحرة اللعينة مع تلك الأخرى لتغييرها؟!

مستحيل، هناك تفاصيل أخرى حتمًا تمت تخبئتها عنى، ولكن هذا ليس ما يهمّنى..

مما أراه، يبدو أن (بادوا) هذه أقوى من (سو).. يبدو أنها من ساحرات المالاكان القويات جدًّا..

(ديمترى) قال من ضمن ما قال؛ إنهنّ يملكن قوّة تجعلهنّ غير منظورات، أو يبعثن رسولاً من أجسادهنّ، أو يطرن مسافات بعيدة فى الهواء..

(بادوا) كانت جالسة معنا منذ البداية إذًا!

(بادوا) هى التى لكمتنى بقوة وأنا أمام (سو)، عند الدرج!

(بادوا) هى من جعلتنى أفقد وعيى!

اللعينة!

على كلّ حال، هذا جيد.. هكذا بدأت تتضح الأمور أكثر وأكثر بالنسبة لى.. هكذا بدأ الغموض ينقشع..

تقول (سو) موجهة كلامها لى، وبنبرة باردة كادت تجمد الدم فى عروقى:

- اليوم موعد الجثة الأخيرة التى سنمارس طقوسنا عليها، وأنت ستكون المقتول الأول غدًا.. هنيئًا لك!

أهتف فى غضب:

- هنيئًا لى بماذا أيتها اللعينتان؛ بقتلى غدًا؟! أم بتشويهكم كل تلك الجثث؟! أم بتحويلكم عالمى خلال أسبوع إلى كون خاص بكنّ وحدكنّ؟! لماذا تفعلن هذا؟! لماذا؟!

تنهض (بادوا) فجأة بسرعة، فأبتلع لسانى وأنا أنظر لها فى ذعر.. الحقيقة أننى كنت أهابها، إنها تبدو مخيفة جدًّا، مثيرة للرعب والقلق بعنف.. بعنف شديد..

تقترب منى ببطء، وتقول بصوت مبحوح مختنق:

- غريزة البقاء يا هذا.. غريزة البقاء..

أسأل:

- بقاء من؟!

تجيب ببساطة، وبذات الصوت المبحوح المختنق:

- بقاء جنسنا طبعًا.. لن يبقى قومنا هناك فى حالة الجمود للأبد لو أردت رأيى.. المشكلة أن هذا ليس قرارى بل قرار تم الأخذ به والعمل فيه منذ زمن طويل للغاية، وحان الآن موعد تنفيذه..

أسأل:

- لماذا الآن؟! لماذا الآن بالذات؟!

تصمت قليلاً، وتجيب سؤالى بسؤال:

- كم تتوقع عمرى؟!

أنظر إلى ملامحها القبيحة، وتجاعيدها، وهيئتها، وشكلها، وأقول ببطء:

- ربما مائة عام!

تبتسم، لا أدرى إن كانت هذه ابتسامة أم خريطة جديدة تشكلت للتو.. لكنها قالت لتصدمنى أكثر:

- عمرى خمسمائة عام!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أنظر لها فى ذهول..

عمرها خمسمائة عام؟!

ما الذى تقوله هذه الساحرة المخبولة، التى ستجرنى معها إلى بحر الجنون كما أرى؟!

تردف متجاهلة نظرتى المذهولة المندهشة:

ـ.. منذ خمسمائة عام وأنا أنتظر هذه اللحظة، منذ خمسمائة عام وأنا أنتظر الخسوف الكبير، منذ خمـ...

أقاطعها بغتة:

- الخسوف الكبير؟!

تقول بهدوء:

- لقد حصل هذا منذ أسبوع تقريبًا، هذه هى العلامة التى كنت أنتظرها منذ خمسمائة عام، والتى أتتنى بسببها الرسالة الروحية الأخيرة من (جراشى)..

الخسوف الكبير؟!

تبًّا لك يا (منذر)، قلبى الصغير لا يتحمل!

ما هذا الذى تفعله فينا بالضبط؟!

أزفر بقوة، وشدة، وغضب.. أسألها:

- حسنًا، وما الذى ستفعلينه الآن؟!

تقول لى:

- لا شىء.. سنقتلك غدًا لأن هذا ما يجب أن نفعله! وبعدها سنقتل ستة أشخاص غيرك، تمهيدًا لحضور الروح الكبيرة..

أقول لها من باب الاستفزاز:

- الدراجو؟!

أحببت بهذه الكلمة أن أخبرها أننى أعرف الكثير.. جدًّا..

لم يبد عليها أى تأثير، هى واثقة أننى أعرف الكثير أصلاً، لكن هل تعرف كل شىء؟!

لا أعتقد..

بدا القلق على وجه (سو) إثر الكلمة المستفزة، لكنّ (بادوا) أوقفتها بإشارة من يدها وقالت بلهجة مخيفة كالثلج:

- ستبقى هنا حتى الغد، حيث ستلاقى موتك!

أبتسم بطريقة أثارت استغرابها حتمًا، وأقول بكلّ ثقة:

- بالمناسبة، إنهم قادمون!

تقول (سو) فى توتر:

- من هم؟!

أقول لأغيظها وأستفزها وأغضبها أكثر:

- هم.. رفاقى الشرطة! قادمون بعد قليل.. فاستعدوا أنتم لملاقاة موتكم..

تقول (بادوا) فى ثقة:

- لا شىء يستطيع إيقافنا!

أفكر بسرعة، وقلق..

لقد تأخر (منذر) و(ديمترى) كثيرًا، أين هما؟!

هل هذا هو الوقت الأنسب، كى تتعطل سيارة (منذر)؟!

هل هذا هو الوقت الأنسب، كى تتأخر سيارة الشرطة فى الوصول إليهما؟!

هل هذا هو الوقت الأنسب، كى أبقى وحدى طوال هذا الوقت مع هاتين الساحرتين اللعينتين؟!

تبًّا.. تبًّا..

فجأة، وبتوفيق غريب من الله، تذكرت آخر ورقة أملكها..

تذكرت آخر حلّ أستطيع مجابهتهما به، والوقوف أمامهما دون خوف ودون قلق!

تقول (سو) وهى تقترب منى:

- حسنًا، سنأخذك معنا، صار لا بد من مغادرة هذا المكان، إنه لم يعد آمنًا بالنسبة لنا..

استجمعت شجاعتى، وقلت بسرعة، متوقعًا أى شىء، مستعدًا لأى ضربة أو لكمة أو صفعة مباغتة:

- مالاكان ليغوز نايوز هوسا هوسا!

قلتها كمحاولة أخيرة من الغريق للتشبث بقشة..

التعويذة التى وضعها (منذر) فى جيبى!

التعويذة التى تذكرت أول كلماتها فقط!

يبدو أن الأمر كان قاسيًا جدًّا بالنسبة لهما، إذ إن كلّ واحدة منهنّ صرخت وأخذت تتلوّى بغتة، وأمسكت جانبى رأسها، والتفتت إلى (بادوا) فجأة بعينين حمراوين مشتعلتين، ومدت يدها وكأنها ستصفعنى عن بعد!

يا حمقاء.. هذا ما كنت أريده منك بالضبط!

أتتنى صفعتها غير المرئية وانتزعتنى أنا والكرسى من مكاننا، وألقتنا ثلاثة أمتار إلى الخلف..

حاولت تجاهل كل آلامى، وتركيز أفكارى نحو نقطة واحدة مهمة جدًّا:

لقد انكسر الكرسى!

وانكساره لا يعنى سوى أننى صرت حرًّا، وأن بوسعى التقاط الورقة من جيبى..

لم أضع أى وقت، أخرجتها فورًا، وأكملت بصوت مرتفع:

ـ.. هيكوز سايوز بورين هوسا هوسا!

لم أكن مقتنعًا بجدوى هذه الكلمات صباح اليوم، وها أنا أستعملها الآن بكل ثقة وشجاعة وبأس..

تتلوى (بادوا)، تتلوى (سو).. تمسك كلّ واحدة منهنّ رأسها وتضغط بعنف على الجانبين، لا يهمنى أن يعرف ما الذى تفعله هذه الكلمات فيهنّ.. يهمنى فقط أن هذا الشىء يجدى نفعاً وأنهما تتعذّبان!

ترفع (بادوا) رأسها وتبدو مخيفة للغاية، لكننى لم أرحمهما:

ـ.. كيلافاسى لوكولابوتا مالاسى لوكومبا هوسا!

الأرض تهتزّ..

وكأنّ هناك زلزالاً خفيفًا يحدث، أشعر به، أحسه.. هل هذه علامة ما؟! هل هذه إشارة معينة؟!

تتألمان أكثر، تئنّ كل واحدة منهنّ بصوتها.. الغريب أن هذا يشعرنى بنشوة شديدة!

أكمل دون شفقة:

ـ.. مامونجا لوكواسيسجا.. مامونجا لوكواسيسجا!

هنا بالذات بدأ صراخهما يزداد، وبدأت الأرض تهتز أكثر، وبدأ شىء من الظلام يتسرب إلى، إلى كيانى، إلى عينى..

صراخ..

اهتزاز..

الأرض تميد بى، الأصوات تتداخل من خلفى وأمامى وحولى، أسمع من بعيد أصوات أشخاص يصعدون الدرج.. أسمع أصوات سيارات شرطة، كيف؟! أين؟! لماذا؟!

ما الذى يحدث؟!

يهدأ الاهتزاز، وتشتعل نار زرقاء فجأة فى الساحرتين..

الصورة مشوشة، أكاد لا أرى شيئًا.. وعيى يذهب، يروح، يحمل حقائبه ويسافر، أين أنا؟! ماذا أفعل هنا؟!

وللمرة الثانية أسقط فاقد الوعى..

.. لقد صار هذا مملاًّ جدًّا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

١٣- الخـــتام..

عندما أفقت، كان قد انتهى كلّ شىء..

- لقد أفاق!

- إنه يفتح عينيه!

- لقد عاد إلى وعيه!

اسمع هـذه الكلمات وأفتـح عينى مـرة واحـدة.. كنت مستلقيًا فى سرير مريح، أبيض اللـون، وكانوا حـولى جميعًا بلا استثناء..

لم أرهم من قبل فى مكان واحد، كلهم ينظرون لى.. (ديالا) و(كريم) و(منذر) و(ديمترى) و(يوسف) و(همام)..

جميعهم!

يهنؤننى بالسلامة كلهم، يخرجون ونبقى قليلاً أنا وزوجتى وابنى الجميلين.. أطمئنهم أن الأمر مر على خير بحمد الله، وأنه لا يجب أن يقلقوا من أى شىء..

أستأذنهم بأن يخرجوا قليلاً، وأننى بحاجة لرؤية الوغدين الذين جاءا فى النهاية، بعد أن أنهيت وحدى كلّ شىء..

جاءا، (منذر) و(ديمترى)، وعاتبتهما قليلاً على تأخرهما، قبل أن أسأل هذا الأخير:

- وأين هما الآن؟! هل وجدتم أيًّا منهما؟!

يجيبنى:

- لم نجـد فى الشـقة شيئًا غيـر بعض السكاكين السوداء فقط.. كما أن الذى تبقى منهما هو القليل جدًّا من الرماد..

يسأل (منذر) فى اهتمام، بابتسامة واسعة:

- هل ماتتا؟!

أقول:

- كلا، طبقًا للأسطورة فهما انتقلتا الآن إلى جزيرة الموتى، وستربط كلّ واحدة منهما بحجر (موداوزى) الأسود، وستظلّ فيه مربوطة مدة ألف عام ما

لم ينقذها أحد.. بعدها ستمر فى البئر الذى يدعى (جلالا) لتحرق فى مأتم جنائزى كبير اسمه (إيوالا)، هناك فى العالم الآخر!

ينظر لى (ديمترى) بإعجاب:

- تعجبنى قدرتك على الحفظ..

أقول:

- ليس دائمًا، صدقنى..

يقول ضاحكًا:

- لا شكّ أن (توبليتا) سيد الجزيرة، سيتسلى بها قليلاً..

نضحك جميعًا، قبل أن يقول (منذر):

- (سامر)؟!

ألتفت إليه:

- نعم..

يسألنى آخر سؤال أتوقعه:

- هل تظن أن لهم علاقة بمدينة الجماجم؟!

يا إلهى!

مدينة الجماجم..

لقـد نسـيت كل شىء عـن مدينـة الجماجم فى اليومين الماضيين..

هل لساحرات المالاكان علاقة بهم؟!

هل الأسطورة الهندية بنيت على اتصال بهذه المدينة منذ زمن بعيد للغاية؟!

لا أدرى..

هذه المرة لم يقترب منى أحد من مدينة الجماجم، لكننى واثق أننى سألتقى بأحد من هناك، قريبًا..

أفكّر بهذا بينى وبين نفسى، ولم أكن أدرى كم كنت محقًّا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه) ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

لينك الانضمام الى الجروب – Group Link

لينك القنـــــاة – Link

الفهرس..

مقدّمة
١- الكيـان الأسـود..
٢- المخابرات العلمية..
٣- رائحة جثث يا (سامر)!
٤- جثث بدون أحشاء وعيون وألسنة!
٥- أكلة لحـوم البشر..
٦- هُناك جثة رابعة!
٧- اسمهـا (سـو)!
٨- ساحرات المالاكان..
٩- منطقتـى..
١٠- مع (سو) من جديد..
١١- الحــافـز..
١٢- هناك ساحرة أخرى..
١٣- الخـــتام..
الفهرس..